رِسَالةُ أُخُوِيَّةٍ

لماذا تركتُ دعوةَ الإخوانِ المسلمينَ واتبعتُ المنهجَ السلفيَّ

بقلم

فيصل بن عبدة بن قائد الحاشدي

طبعة جديدة مُنقحة ومزيدة

تقديم

الشيخ العلامة المحدث

أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي

دار الآثار

صنعاء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَقْدِيمُ الشَّيْخِ العَلَّامَةِ مُقْبِلِ بْنِ هَادِي الوَادِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَيَّأَ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ يُدَافِعُ عَنْ دِينِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدِ اطَّلَعْتُ عَلَى رِسَالَةِ أَخِينَا الفَاضِلِ فَيْصَلِ بْنِ عَبْدَة بْنِ قَائِدٍ الحَاشِدِيِّ، "رسالة أخوية"، فوجدتُّها مُفيدةً عظيمةَ الفوائد، أمثالُها قليلٌ في موضوعها؛ فعرضتُها على أخينا الفَاضل سعيد بْنِ عُمَرَ حبيشان، وطلبتُ منه طَبْعَها؛ ليعُمَّ النَّفْعُ بها، فاستجاب حفظه الله.

فعسى اللهُ أَنْ يُوفِّقَ أخانا فَيْصَلًا لمواصلةِ السَّيْرِ؛ للذَّبِ عَنِ الدِّينِ، وَإِنَّ الرَّدَّ على أصحابِ البِدَعِ لَأَعْظَمُ جِهَادٍ، ومِنْ خَيْرِ القُرَبِ الَّتِي يُتَقَرَّبُ بِها إلى اللهِ.

ولَا يَهُولَنَّكَ -يا أخانا فيصلُ- إِرْجَافُ المُرْجفين الَّذين يتألَّمون من الدَّعوةِ إِلَى السُّنَةِ، ومُحَارَبَةِ البِدْعَةِ؛ فإنَّها ستتَّضِحُ الحقيقةُ اليَوْمَ، أَوْ غدًا، أو بَعْدَ غَدٍ. والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

مقْبِلُ بْنُ هَادِي الوَادِعِيُّ

١٤٢١/٣/٢هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنِّي لَبِثْتُ فِي دَعْوَةِ (الإِخْوَانِ) مُدَّةً طَوِيلَةً، تُقَارِبُ العَقْدَينِ مِنَ الزَّمَنِ، أُرَقِّعُ مَا انْخَرَقَ عَلَى الرَّاقِعِ، حَتَّى ضَاقَ الثَّوْبُ عَلَى صَاحِبِهِ؛ فَكَانَ لَابُدَّ لِي أَنْ أَحْمِلَ عَصَا سَلْمَانَ[1]، وَأَبْحَث عَنِ الجَمَاعَةِ الَّتِي تَتَقَيَّدُ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، دُونَ أَنْ تُخْضِعَ شَيْئًا لِلنُّصُوصِ

(١) هُوَ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ، البَاحِثُ عَنِ الحَقِّ رضي الله عنه حَمَلَ عَصَا التَّرْحَالِ، قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رحمه الله فِي "الفَوَائِدِ" (ص٤٤): فَرَكِبَ رَاحِلَةَ العَزْمِ يَرْجُو إِدْرَاكَ مَطْلَبِ السَّعَادَةِ فَغَاصَ فِي بَحْرِ البَحْثِ لِيَقَعَ بِدُرَّةِ الوُجُودِ؛ فَوَقَفَ نَفْسَهُ عَلَى خِدْمَةِ الأَدِلَّاءِ وُقُوفَ الأَذِلَّاءِ، فَلَمَّا أَحَسَّ الرُّهْبَانُ بِانْقِرَاضِ دَوْلَتِهِمْ، سَلَّمُوا إِلَيْهِ أَعْلَامَ الأَعْلَامِ عَلَى نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا، وَقَالُوا: إِنَّ زَمَانَهُ قَدْ أَظَلَّ فَاحْذَرْ أَنْ تَضِلَّ فَرَحَلَ مَعَ رِفْقَةٍ لَمْ يَرْفِقُوا بِهِ، فَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ، فَابْتَاعَهُ يَهُودِيٌّ بِالمَدِينَةِ، فَلَمَّا رَأَى الحَرَّةَ تَوَقَّدَ حَرًّا شَوْقُهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ رَبُّ المَنْزِلِ بِوَجْدِ النَّازِلِ، فَبَيْنَا هُوَ يُكَابِدُ سَاعَاتِ الانْتِظَارِ قَدِمَ البَشِيرُ بِقُدُومِ البَشِيرِ، وَسَلْمَانُ فِي رَأْسِ نَخْلَةٍ، وَكَادَ القَلَقُ يُلْقِيهِ، لَوْلَا أَنَّ الحَزْمَ أَمْسَكَهُ كَمَا جَرَى يَوْمَ ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص:١٠] فَعَجَلَ النُّزُولَ لِتَلَقِّي رَكْبِ البِشَارَةِ وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ:

خَلِيلَيَّ مِنْ نَجْدٍ قِفَا بِي عَلَى الرُّبَا ... فَقَدْ هَبَّ مِنْ تِلْكَ الدِّيَارِ نَسِيمُ.اهـ

لِوَاقِعِهَا، كَمَا تَصْنَعُ كَثِيرٌ مِنَ الجَمَاعَاتِ اليَوْمَ، بَلْ تَخْضَعُ لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، فَانْتَهَى بِي المَطَافُ فِي المَنْهَجِ السَّلَفِيِّ، وَهُنَاكَ أَلْقَيْتُ عَصَى التَّرْحَالِ.

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا، وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النوى   كَمَا قَرَّ عَينًا بِالإِيَابِ المُسَافِرُ

بَعْدَهَا كَثُرَتِ الأَسْئِلَةُ مِنْ إِخْوَانِي وَزُمَلَائِي، الَّذِينَ أُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَنِي فِي اللهِ، فَطَلَبَ مِنِّي أَحَدُهُم أَنْ أَذْكُرَ لَهُ الأَسْبَابَ الَّتِي دَعَتْنِي لِتَرْكِ العَمَلِ مَعَ جَمَاعَةِ (الإِخْوَانِ) فَأَجَبْتُهُ إِلَى طَلَبِهِ، وَلِسَانُ حَالِي: «مُكْرَهٌ أَخَاكَ لَا بَطَلٌ» ثُمَّ إِنَّ الرِّسَالَةَ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ تَلَقَّفَتْهَا الأَيْدِي، فَطَارَتْ كُلَّ مَطَارٍ، لأَنَّ النُّفُوسَ لَهَا تَوَّاقَةٌ، بَعْدَ صَمْتٍ دَامَ طَوِيلًا!

فَأَحْبَبتُ أَنْ أَحْذِفَ الاسْمَ وَأَجْعَلَهَا عَامَّةً؛ فَيَرَاهَا الجَمِيعُ، وَتَكُونَ مُلْكًا لَهُمْ.

وَلَعَلَّ قَائِلًا يَقُولُ: إِنَّ الرِّسَالَةَ إِذَا كَانَتْ عَامَّةً تُمَكِّنُ العَدُوَّ مِنْ مَعْرِفَةِ عُيُوبِنَا.

فَالجَوَابُ عَلَيْهِ: أَنَّ الأَعْدَاءَ أَعْرَفُ مِنَّا بِعُيُوبِنَا، وَالَّذِي لَا يَعْرِفُهَا -أَوْ لَا يُحِبُّ أَنْ يَعْتَرِفَ بِهَا- هُوَ نَحْنُ فَقَط؛ لأَنَّنَا مُصِرُّونَ عَلَيْهَا، وَللهِ دَرُّ الشَّاعِرِ حَيْثُ قَالَ:

فَلَسْتُ بِرَاءٍ عَيْبَ ذِي الوِدِّ كُلَّهُ   وَلَا بَعْضَ مَا فِيهِ إِذَا كُنْتُ رَاضِيَا

فَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ   وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيَا

نَصُّ الرِّسَالَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى رَسُولِهِ الأَمِينِ، أَمَّا بَعْدُ:

مِنْ أَبِي عَبْدِاللهِ فَيْصَلِ بْنِ عَبْدَه بْنِ قَائِدٍ الحَاشِدِيِّ

إِلَى جَنَابِ الأَخِ الحَبِيبِ/ .... حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

أَيْ أُخَيَّ، لَا أَدْرِي كَيْفَ أَبْدَأُ رِسَالَتِي هَذِهِ إِلَى شَخْصِكَ الحَبِيْبِ إِلَى قَلْبِي؛ فَلَا تَسْتَطِيْعُ الحُرُوفُ، وَلَا الكَلِمَاتُ أَنْ تُعَبِّرَ عَمَّا يُخَالِجُ النَّفْسَ مِنْ مَشَاعِرَ وَأَحَاسِيسَ، وَعَمَّا يَعْتَرِي القَلْبَ مِنِ انْفِعَالَاتٍ، وَعَمَّا يَجْرِي عَلَى الخَاطِرِ مِنْ ذِكْرَيَاتٍ مَحْفُورَةٍ فِيهِ، لَا تَمْحُوهَا الأَيَّامُ، وَلَا تَعُودُ عَلَيْهَا عَوَادِيْ الزَّمَانِ، فَسَقَى اللهُ أَيَّامًا، سُعِدْنَا فِيْهَا بِالقُرْبِ مِنْكُمْ، وَنَهِلْنَا مِنْ مَعِينِ مَحَبَّتِكُمُ الصَّافِي، وَوَرَدْنَا نَبْعَ جَمَاعَةِ (الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ) عِطَاشًا، فَمَا صَدَرْنَا عَنْهَا إِلَّا عَنْ شِبَعٍ وَرِيٍّ وَامْتِلَاءٍ، عَلَى كَدَرٍ وَدَخَنٍ كَثِيرٍ!!

أَيْ أَخِي، يَا صِنْوَ رُوحِي، وَشَقِيقَ فُؤَادِي -يَا رَعَاكَ اللهُ، وَيَا

حَفِظَكَ اللهُ- كَمْ أَنْتَ -دَائِمًا- كَعَهْدِي بِكَ لَمْ تَنْسَ أُخُوَّتِي، وَحِفْظَ وِدَادِي، كَمْ أَنْتَ -كَعَهْدِي بِكَ- فَيَّاضَ الأَحَاسِيسِ، حُلْوَ العِشْرَةِ وَدُودًا.

أَخٌ طَاهِرُ الأَخْلَاقِ حُلْوٌ كَأَنَّهُ   جَنَى النَّحْلِ مَمْزُوجًا بِمَاءِ غَمَامِ
يَزِيدُ عَلَى الأَيَّامِ صَفْوَ مَوَدَّةٍ   وَشِدَّةَ إِخْلَاصٍ وَرَعْيَ ذِمَامِ

أَيْ أَخِي، تَسْأَلُنِي عَنْ سِرِّ تَرْكِي العَمَلَ مَعَ جَمَاعَةِ (الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ)، تِلْكَ الجَمَاعَةُ الَّتِي أَحْبَبْتُهَا حُبًّا عَظِيمًا، وَأَعْطَيْتُهَا خُلَاصَةَ شَبَابِي، وَعُصَارَةَ جُهْدِي؟!

أَيْ أَخِي، بِسَبَبِ هَذَا السُّؤَالِ تَأَخَّرَ جَوَابُكَ، فَغَابَ الغَيْثُ، وَمَالَ عَنِ المَوْرِدِ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَلَكِن بَعْدَ أَنِ اسْتَخَرْتُ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- انْشَرَحَ صَدْرِي لِجَوَابِكَ وَقَدْ رَأَيْتُ لِزَامًا عَلَيَّ التَّخَلُّقَ بِخُلُقِ الإِنْصَافِ، وَلَاسِيَّمَا مَعَ جَمَاعَةٍ لَهَا عَلَيَّ فَضْلٌ عَظِيمٌ، وَمَا زِلْتُ أُحِبُّهَا وَأُحِبُّ أَهْلَهَا، كُلٌّ عَلَى قَدْرِ الخَيْرِ الَّذِي فِيهِ.

أَيْ أَخِي، لَقَدْ كَانَ مِنْ أَسْبَابِ تَرْكِي العَمَلَ مَعَ جَمَاعَةِ (الإِخْوَانِ) -عَلَى جَادَّةِ المِثَالِ لَا الحَصْرِ-[1] مَا يَأْتِي:

---

(١) ذَكَرْتُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ أَشْيَاءَ أَقْنَعَتْنِي بِتَرْكِ هَذِهِ الجَمَاعَةِ، وَأُخْرَى ظَهَرَتْ لِي مِنْ بَعدُ زَادَتْنِي اقْتِنَاعًا عَلَى عَدَمِ جَوَازِ الاسْتِمْرَارِ مَعَهَا، بَلْ رَأَيتُ أَنَّ مِنْ وَاجِبِي أَنْ أُبيِّنَ لِلنَّاسِ أَنَّ مَنهَجَ هَذِهِ الجَمَاعَةِ خِلَافُ مَنْهَجِ السَّلَفِ الأَصِيلِ الوَاجِبِ الاتِّبَاعِ ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:١٤]. وَمَا أَحْسَنَ قَولَ الشَّاعِرِ: =

أ - عَدَمُ وُجودِ قاعِدَةٍ عَقَدِيَّةٍ أَجْمَعُوا أَمْرَهُم عَلَى تَبنِّيهَا، وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا.

ب - عَدَمُ التَّرْكِيزِ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَتَصْفِيَةِ العَقِيدَةِ.

ج - افْتِقَارُهَا إِلَى الدَّعَائِمِ الَّتِي تَقُومُ عَلَيهَا الدَّعْوَةُ الصَّحِيحَةُ، وَمِنْهَا: البَدَاءَةُ بِالأَهَمِّ فَالأَهَمِّ، بِأَنْ يَدْعُو الدَّاعِيَةُ أَوَّلًا إِلَى إِصْلَاحِ العَقِيدَةِ، كَمَا هِيَ طَرِيقَةُ الرُّسُلِ جَمِيعًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

أَيْ أَخِي، هَذِهِ الخُلَاصَةُ، أَمَّا الأَدِلَّةُ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، وَإِلَيْكَ طَرَفًا مِنْهَا:

نَفْيُ الصِّفَاتِ:

عَقِيدَةُ الإِخْوَانِ فِي تَوْحِيدِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مُضْطَرِبَةٌ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَقِرَّ لَهُمْ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ قَرَارٌ، فَالشَّيْخُ حَسَن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ يَرَى أَنَّ آيَاتِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَأَحَادِيثَهَا مِنَ المُتَشَابِهِ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَمَعْرِفَةُ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَتَوْحِيدُهُ وَتَنْزِيهُهُ أَسْمَى عَقَائِدِ الإِسْلَامِ، وَآيَاتُ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثُهَا الصَّحِيحَةُ، وَمَا لَحِقَ بِذَلِكَ مِنَ المُتَشَابِهِ نُؤْمِنُ بِهِ

= سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ.

كَمَا جَاءَ، مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ".

وَالجَوَابُ: أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ لَيْسَ مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي شَيْءٍ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُ شَيْخِ الإِسْلَامِ: (مَنْ قَالَ: إِنَّ هَذَا مِنَ المُتَشَابِهِ وَإِنَّهُ لَا يُفْهَمُ مَعْنَاهُ، فَنَقُولُ: أَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى بُطْلَانِ ذَلِكَ فَإِنِّي مَا أَعْلَمُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ، وَلَا الأَئِمَّةِ: لَا أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَلَا غَيْرِهِ، أَنَّهُ جَعَلَ ذَلِكَ مِنَ المُتَشَابِهِ الدَّاخِلِ فِي الآيَةِ، وَنَفَى أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ مَعْنَاهُ، وَجَعَلُوا أَسْمَاءَ اللهِ وَصِفَاتِهِ بِمَنْزِلَةِ الكَلَامِ الأَعْجَمِيِّ الَّذِي لَا يُفْهَمُ، وَلَا قَالُوا: إِنَّ اللهَ يُنَزِّلُ كَلَامًا لَا يَفْهَمُ أَحَدٌ مَعْنَاهُ. إِنَّمَا قَالُوا: كَلِمَاتٌ لَهَا مَعَانٍ صَحِيحَةٌ، قَالُوا فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ: تُمَرُّ كَمَا جَاءَتْ. ثُمَّ قَالَ: وَ-أَيْضًا- فَالسَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَسَائِرِ الأَئِمَّةِ، قَدْ تَكَلَّمُوا فِي جَمِيعِ نُصُوصِ الصِّفَاتِ وَغَيْرِهَا، وَفَسَّرُوهَا بِمَا يُوَافِقُ دَلَالَتَهَا، وَرَوُوا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً تُوَافِقُ القُرْآنَ، وَلَوْ كَانَ مَعَانِي هَذِهِ الآيَاتِ مَنْفِيًّا أَوْ مَسْكُوتًا عَنْهُ لَمْ يَكُن رَبَّانِيُّو الصَّحَابَةِ -أَهْلُ العِلْمِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ- أَكْثَرَ كَلَامًا فِيهِ.

ثُمَّ إِنَّ الصَّحَابَةَ نَقَلُوا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُم كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ التَّفْسِيرَ مَعَ التِّلَاوَةِ، وَلَمْ يَذْكُر أَحَدٌ مِنْهُم أَنَّهُ امْتَنَعَ عَنْ تَفْسِيرِ آيَةٍ). اهـ مُخْتَصَرًا[1].

---

(١) "مجموع الفتاوى" (١٣/ ٢٩٤-٣٠٨).

القَوْلُ بِالتَّفْوِيضِ:

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُ الشَّيْخِ حَسَنِ البَنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ حَاوَلَ التَّهْوِينَ وَالتَّقْرِيبَ بَيْنَ مَذْهَبَيِ السَّلَفِ وَالخَلَفِ فِي العَقِيدَةِ-: «وَإِنَّ البَحْثَ فِي مِثْلِ هَذَا الشَّأْنِ -مَهْمَا طَالَ فِيهِ القَوْلُ- لَا يُؤَدِّي فِي النِّهَايَةِ إِلَّا إِلَى نَتِيجَةٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ: التَّفْوِيضُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»[1].

وَقَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «**وَنَحْنُ نَعْتَقِدُ أَنَّ رَأْيَ السَّلَفِ مِنَ السُّكُوتِ وَتَفْوِيضِ عِلْمِ هَذِهِ المَعَانِي إِلَى اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أَسْلَمُ وَأَوْلَى بِالاتِّبَاعِ؛ حَسْمًا لِمَادَّةِ التَّأْوِيلِ وَالتَّعْطِيلِ**»[2].

وَالجَوَابُ عَلَيْهِ:

لَعَلَّكَ قَدْ فَهِمْتَ -أَخِي- مِنْ خِلَالِ كَلَامِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنْ رَأْيَ السَّلَفِ السُّكُوتُ، وَتَفْوِيضُ عِلْمِ هَذِهِ المَعَانِي إِلَى اللهِ، وَهَذَا يَعْنِي: مُجَرَّدَ الإِيمَانِ بِأَلْفَاظِ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا، مِنْ غَيْرِ فِقْهٍ لِمَعَانِيهَا، وَهُوَ مِنَ التَّقَوُّلِ عَلَى السَّلَفِ بِلَا عِلْمٍ وَلَا بُرْهَانٍ، وَقَدْ فَنَّدَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَقْوَالَ أَهْلِ التَّفْوِيضِ وَبَيَّنَ بُطْلَانَهَا وَأَنَّهَا مِنْ شَرِّ الأَقْوَالِ.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «غَايَةُ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ المُعَارِضُونَ لِكَلَامِ اللهِ

---

(١) «رسالة العقائد» (ص٧٤).

(٢) مجموعة رسائل البنا، «رسالة العقائد» (ص٤٩٨).

وَكَلَامِ رَسُولِهِ بِآرَائِهِم مِنَ المَشْهُورِينَ بِالإِسْلَامِ هُوَ: التَّأْوِيلُ أَوِ التَّفْوِيضُ. ثُمَّ قَالَ: وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا قَدْحٌ فِي القُرْآنِ وَالأَنْبِيَاءِ، إِذَا كَانَ اللهُ أَنْزَلَ القُرْآنَ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ جَعَلَهُ هُدًى وَبَيَانًا لِلنَّاسِ، وَأَمَرَ الرَّسُولَ أَنْ يُبَلِّغَ البَلَاغَ المُبِينَ، وَأَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِمْ، وَأَمَرَ بِتَدَبُّرِ القُرْآنِ وَعَقْلِهِ، وَمَعَ هَذَا فَأَشْرَفُ مَا فِيهِ هُوَ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّبُّ عَنْ صِفَاتِهِ، وَعَنْ كَوْنِهِ خَالِقًا لِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ".

ثُمَّ قَالَ: "فَتَبَيَّنَ أَنَّ قَوْلَ أَهْلِ التَّفْوِيضِ -الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهم مُتَّبِعُونَ لِلسُّنَّة وَالسَّلَفِ- مِنْ شرِّ أَقْوَالِ أَهْلِ البِدَعِ وَالإِلْحَادِ". اهـ مُخْتَصَرًا[1].

إِنْكَارُ المَهْدِيِّ:

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُ الشَّيخِ حَسَن البنَّا رَحِمَهُ اللهُ: "فَمِنْ حُسْنِ الحَظِّ لَمْ نَرَ فِي السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ مَا يُثْبِتُ دَعْوَى المَهْدِيِّ، وَإِنَّمَا أَحَادِيثُهُ تَدُورُ عَلَى الضَّعْفِ وَالوَضْعِ". اهـ[2].

وَالجَوَابُ عَلَيهِ:

أَنَّ أَحَادِيثَ المَهْدِيِّ وَخُرُوجِهِ آخِرَ الزَّمَانِ، بَلَغَتْ خَمْسِينَ حَدِيثًا، مِنْهَا: الصَّحِيحُ، وَالحَسَنُ، وَمَا دُونَ ذَلِكَ.

---

(١) "درء تعارض العقل والنقل" (١/ ٢٠١-٢٠٥).

(٢) "حديث الثلاثاء" لحَسَن البنَّا (ص١٠٨).

قَالَ الإِمَامُ السَّفَّارِينِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي عَقِيدَتِهِ: «فَالإِيمَانُ بِخُرُوجِ المَهْدِيِّ وَاجِبٌ، كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ، وَمُدَوَّنٌ فِي عَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ».

وَقَالَ الإِمَامُ مُحَمَّد نَاصِرُ الدِّينِ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (لَقَدْ تَوَاتَرَتِ الأَخْبَارُ، وَاسْتَفَاضَتْ بِكَثْرَةِ رُوَاتِهَا عَنِ المُصْطَفَى ﷺ، بِمَجِيءِ المَهْدِيِّ، وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَنَّهُ يَخْرُجُ مَعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيُسَاعِدُهُ عَلَى قَتْلِ الدَّجَّالِ، وَأَنَّهُ يَؤُمُّ هَذِهِ الأُمَّةَ، وَعِيسَى يُصَلِّي خَلْفَهُ). اهـ[1].

عَدَمُ وُضُوحِ عَقِيدَةِ الوَلَاءِ وَالبَرَاءِ:

أَيْ أَخِي، لَا شَكَّ أَنَّ القِلَّةَ القَلِيلَةَ مِنَ النَّاسِ هُمُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ عَقِيدَةَ الوَلَاءِ وَالبَرَاءِ، لِهَذَا رَأَيْتُ أَنْ أُعْطِيكَ خُلَاصَةَ هَذِهِ العَقِيدَةِ، قَبْلَ الدُّخُولِ مَعَكَ فِي صُلْبِ المَوْضُوعِ؛ لِتَكُونَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِكَ، وَاللهُ يَحْفَظُكَ وَيَرْعَاكَ.

أَخِي، اعْلَمْ -عَلَّمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ- أَنَّ عَقِيدَةَ الوَلَاءِ وَالبَرَاءِ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَمَعْرِفَةُ هَذَا الأَصْلِ الأَصِيلِ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ؛ لِيَكُونَ وَلَاؤُهُ وَبَرَاؤُهُ بِحَسَبِهَا؛ إِذْ مِنَ المُحَالِ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ عَقِيدَةٌ سَلِيمَةٌ بِدُونِ تَحْقِيقِ المُوَالَاةِ وَالمُعَادَاةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ هَذَا المَفْهُومُ العَقَدِيُّ المُهِمُّ قَدْ غَابَ مِنْ وَاقِعِ حَيَاةِ النَّاسِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا

(١) «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٣٧٢).

يُغَيِّرُ مِنَ الحَقِيقَةِ النَّاصِعَةِ شَيْئًا.

وَيُقَسِّمُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ النَّاسَ -بِحَسَبِ الوَلَاءِ وَالبَرَاءِ- إِلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ:

الأَوَّلُ: مَنْ يُحَبُّ جُمْلَةً:

وَهُوَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَقَامَ بِوَظَائِفِ الإِسْلَامِ وَمَبَانِيهِ العِظَامِ، عِلْمًا وَعَمَلًا وَاعْتِقَادًا.

الثَّانِي: مَنْ يُحَبُّ مِنْ وَجْهٍ، وَيُبْغَضُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ:

وَهُوَ المُسْلِمُ الَّذِي خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا، وَآخَرَ سَيِّئًا، فَيُحَبُّ وَيُوَالَى عَلَى قَدْرِ مَا مَعَهُ مِنَ الخَيْرِ، وَيُبْغَضُ وَيُعَادَى عَلَى قَدْرِ مَا مَعَهُ مِنَ الشَّرِّ.

الثَّالِثُ: مَنْ يُبْغَضُ جُمْلَةً:

وَهُوَ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ.[1]

وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَتَبَرَّءُونَ مِمَّنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[المجادلة: ٢٢].

(١) «الوَلَاءُ وَالبَرَاءُ فِي الإِسْلَامِ مِنْ مَفَاهِيمِ عَقِيدَةِ السَّلَفِ» لِلقَحْطَانِيِّ (ص١٣٥-١٣٦).

وَالْمُؤْمِنُ -الحَقُّ- يَجْعَلُ حُبَّهُ للهِ، وَبُغْضَهُ للهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «**أَوْثَقُ عُرَا الإِيمَانِ: الْمُوَالَاةُ فِي اللهِ، وَالْمُعَادَاةُ فِي اللهِ، وَالحُبُّ فِي اللهِ، وَالبُغْضُ فِي اللهِ**»[(١)].

وَبَعْدَ هَذَا التَّعْرِيفِ الْمُوجَزِ لِقَضِيَّةٍ مِنْ أَخْطَرِ قَضَايَا العَقِيدَةِ، أَقُولُ: **إِنَّ هَذِهِ القَضِيَّةَ غَيْرُ وَاضِحَةٍ فِي دَعْوَةِ (الإِخْوَانِ)**، وَإِلَيْكَ البَيَانُ:

نَقَلَ مَحْمُودُ عَبْدِالحَلِيمِ -وَهُوَ مِنْ أَعْمِدَتِهِم- مَا سَمِعَهُ بِنَفْسِهِ مِنْ مُحَاضَرَةِ الشَّيْخِ حَسَنِ البَنَّا رحمه الله قَوْلَهُ: "فَأُقَرِّرُ أَنَّ خُصُومَتَنَا لِلْيَهُودِ لَيْسَتْ دِينِيَّةً؛ لأَنَّ القُرْآنَ حَضَّ عَلَى مُصَافَاتِهِمْ وَمُصَادَقَتِهِمْ! وَالإِسْلَامُ شَرِيعَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ، قَبْلَ أَنْ يَكُونَ شَرِيعَةً قَوْمِيَّةً، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ اتِّفَاقًا: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وَحِينَمَا أَرَادَ القُرْآنُ الكَرِيمُ أَنْ يَتَنَاوَلَ مَسْأَلَةَ اليَهُودِ، تَنَاوَلَهَا مِنَ الوِجْهَةِ الاقْتِصَادِيَّةِ وَالقَانُونِيَّةِ"[(٢)]!!.

وَالجَوَابُ عَلَيْهِ:

سُئِلَ الإِمَامُ عَبْدُالعَزِيزِ بْنُ بَازٍ رحمه الله، فِي مَنْ يَقُولُ: "إِنَّ خُصُومَتَنَا مَعَ اليَهُودِ لَيْسَتْ دِينِيَّةً، وَقَدْ حَثَّ القُرْآنُ عَلَى مُصَافَاتِهِمْ

(١) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي "الكبير"، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي "صحيح الجامع" (٢٥٣٩).

(٢) "أحداث صنعت التاريخ" لعبدالحليم محمود (١/ ٤٠٩-٤١٠).

وَمُصَادَقَتِهِمْ".

فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "هَذِهِ مَقَالَةٌ خَبِيثَةٌ، اليَهُودُ مِنْ أَعْدَى النَّاسِ لِلْمُؤْمِنِيْنَ، هُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الكُفَّارِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة: ٨٢]، فَاليَهُودُ وَالوَثَنِيُّونَ هُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ!! وَهَذِهِ المَقَالَةُ مَقَالَةٌ خَاطِئَةٌ ظَالِمَةٌ قَبِيحَةٌ مُنْكَرَةٌ!"[1].

وسُئِلَ العَلَّامَةُ صَالِحٌ الفَوْزَانُ عُضْوُ هَيْئَةِ كِبَارِ العُلَمَاءِ حَفِظَهُ اللهُ: مَا تَقُولُ فِي مَنْ يَقُولُ: "إِنَّ خُصُومَتَنَا لِلْيَهُودِ لَيْسَتْ دِيْنِيَّةً؛ لأَنَّ القُرْآنَ الكَرِيمَ حَضَّ عَلَى مُصَافَاتِهِمْ وَمُصَادَقَتِهِمْ؟".

فَقَالَ حَفِظَهُ اللهُ: "هَذَا الكَلَامُ فِيهِ خَلْطٌ وَتَضْلِيلٌ، اليَهُودُ كُفَّارٌ وَقَدْ كَفَّرَهُمُ اللهُ -تَعَالَى- وَلَعَنَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: ٧٨].

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى!**»[2].

فَعَدَاوَتُنَا لَهُمْ دِيْنِيَّةٌ، وَلَا يَجُوزُ لَنَا مُصَادَقَتُهُمْ، وَلَا مَحَبَّتُهُمْ؛ لأَنَّ

---

(١) انظر: كتاب: "العواصم"، و"الأجوبة السلفية" (ص٤٨).

(٢) البُخاريُّ (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).

القُرْآنَ الكَرِيمَ نَهَانَا عَنْ ذَلِكَ[١].

وَفِي تَارِيخِ ١٩٤٨/٩/٥م بِمَدِينَةِ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ احْتَفَلَ الإِخْوَانُ بِمُرُورِ عِشْرِينَ عَامًا عَلَى إِنْشَاءِ الجَمَاعَةِ، وَفِي هَذَا الحَفْلِ خَطَبَ الشَّيْخُ البَنَّا رَحِمَهُ اللهُ خُطْبَةً قَالَ فِيهَا: "وَلَيْسَتْ حَرَكَةُ الإِخْوَانِ مُوَجَّهَةً ضِدَّ عَقِيدَةٍ مِنَ العَقَائِدِ، أَوْ دِينٍ، أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ الطَّوَائِفِ؛ إِذْ إِنَّ الشُّعُورَ الَّذِي يُهَيْمِنُ عَلَى القَائِمِينَ بِهَا: أَنَّ القَوَاعِدَ الأَسَاسِيَّةَ لِلرِّسَالَاتِ جَمِيعًا قَدْ أَصْبَحَتْ مُهَدَّدَةً الآنَ بِالإِلْحَادِيَّةِ. وَعَلَى الرِّجَالِ المُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ الأَدْيَانِ أَنْ يَتَكَاتَفُوا، وَيُوَجِّهُوا جُهُودَهُمْ إِلَى إِنْقَاذِ الإِنْسَانِيَّةِ مِنْ هَذَا الخَطَرِ، وَلَا يَكْرَهُ الإِخْوَانُ المُسلِمُونَ الأَجَانِبَ النُّزَلَاءَ فِي البِلَادِ الإِسلَامِيَّةِ، وَلَا يُضمِرُونَ لَهُمْ سُوءًا، حَتَّى اليَهُودُ المُوَاطِنُونَ، لَمْ يَكُنْ بَينَنَا وَبَينَهُمْ إِلَّا العَلَائِقُ الطَّيِّبَةُ"[٢].

فَانظُرْ أَخِي، إِلَى قَوْلِهِ رَحِمَهُ اللهُ: "لَا يَكْرَهُ (الإِخْوَانَ المُسلِمُونَ) الأَجَانِبَ النُّزَلَاءَ... حَتَّى اليَهُودُ المُوَاطِنُونَ" فَأَينَ البُغضُ فِي اللهِ الَّذِي يَجِبُ أَلَّا يَخْلُو مِنْهُ قَلبُ مُسلِمٍ؟ وَإِذَا لَمْ نُبغِضِ اليَهُودَ، فَمَنْ نُبغِضُ إِذًا؟!

أَمَّا الزِّنْدَانِيُّ حَفِظَهُ اللهُ فَقَدْ حَضَرَ مُؤتَمَرَ (حِوَارِ الأَديَانِ)، وَأَلقَى فِيهِ كَلِمَةً دَعَا فِيهَا إِلَى الحِوَارِ وَنَبْذِ الكَرَاهِيَةِ، كَمَا قَالَ عَلِيٌّ

(١) انظر: "الأجوبة المفيدة" (ص٣٨-٤٠) للشيخ الفوزان، جَمْعُ الحارثي.

(٢) "قافلة الإخوان" للسيسي -وهو من أعمدتهم- (١/ ٢١١).

الوَاسِعِيُّ فِي "الصحوة" (العَدَدَ ٤٣٧) الخَمِيس ١٦ جُمَادَى الأُولَى ١٤١٥هـ: (أَمَّا الأَخُ عَبدُالمَجِيدِ الزِّندَانِيُّ فَقَدْ أَلقَى كَلِمَةً دَعَا فِيهَا إِلَى الحِوَارِ، وَنَبذِ الكَرَاهِيَةِ).

وَقَالَ (الإِخوَانُ المُسلِمُونَ) فِي بَيَانٍ لَهُمْ مُؤَرَّخٍ فِي ٣٠ ذِي القِعدَةِ ١٤١٥هـ: "وَمَوقِفُنَا مِنْ إِخوَانِنَا المَسِيحِيِّينَ فِي مِصرَ وَالعَالَمِ العَرَبِيِّ، مَوقِفٌ وَاضِحٌ وَقَدِيمٌ وَمَعرُوفٌ. لَهُمْ مَا لَنَا، وَعَلَيهِمْ مَا عَلَينَا، وَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الوَطَنِ، وَإِخوَةٌ فِي الكِفَاحِ الوَطَنِيِّ الطَّوِيلِ، لَهُمْ كُلُّ حُقُوقِ المُوَاطِنِ، المَادِيِّ مِنهَا وَالمَعنَوِيِّ، المَدَنِيِّ مِنهَا وَالسِّيَاسِيِّ. وَمَنْ قَالَ غَيرَ ذَلِكَ، فَنَحنُ بَرَاءٌ مِنهُ، وَمِمَّا يَقُولُ وَيَفعَلُ"[1].

وَالحَاصِلُ -أَخِي- أَنَّ الوَلَاءَ وَالبَرَاءَ صَارَ غَيرَ وَاضِحٍ عِندَ أَفرَادِ هَذِهِ الجَمَاعَةِ، وَكَذَلِكَ تَركُ الغِيرَةِ عَلَى العَقِيدَةِ، وَالتَّحَمُّسُ صَارَ وَاضِحًا لَا شَكَّ فِيهِ، بِحَيثُ يَتِمُّ تَقرِيبُ مَنْ كَانَ فِي صَفِّ الجَمَاعَةِ، وَلَوْ كَانَ فَاسِدَ العَقِيدَةِ، وَيَتِمُّ إِبعَادُ مَنْ كَانَ خَارِجَ صُفُوفِهِمْ، وَلَوْ كَانَ مِنْ أَشَدِّ أَنصَارِ عَقِيدَةِ السَّلَفِ، وَالدَّلِيلُ: قَولُ جَاسِمِ بنِ مهلل اليَاسِين، وَهُوَ مِنْ شُيُوخِ جَمَاعَةِ الإِخوَانِ: "بَلْ دَعوَةُ (الإِخوَانِ) تَرفُضُ أَنْ يَكُونَ فِي صُفُوفِهَا أَيُّ شَخصٍ يَنفِرُ مِنَ التَّقَيُّدِ بِخُطَطِهِمْ وَنِظَامِهِمْ، وَلَوْ كَانَ أَروَعَ الدُّعَاةِ فَهْمًا لِلإِسلَامِ وَعَقِيدَتِهِ، وَأَكثَرِهِمْ

(١) انظر: "مجلّة المجتمع" العدد (١١٤٩) (ص٤٠-٤١).

قِرَاءَةً لِلكُتُبِ، وَمِنْ أَشَدِّ المُسْلِمِينَ حَمَاسَةً وَأَخْشَعِهِمْ لِلصَّلَاةِ»[1].

قُلْتُ: رَحِمَ اللهُ شَيخَ الإِسْلَامِ! حَيثُ قَالَ عَنِ العُلَماءِ وَالمُرَبِّين: «وَلَيسَ لأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى أَحَدٍ عَهْدًا بِمُوَافَقَتِهِ فِي كُلِّ مَا يُرِيدُهُ، وَمَوَالَاةِ مَنْ يُوالِيهِ، وَمُعَادَاةِ مَنْ يُعَادِيهِ، بَلْ هَذَا مِنْ جِنْسِ فِعْلِ (جنكيز خان) وَأَمْثَالِهِ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَنْ وَافَقَهُمْ صَدِيقًا وَلِيًّا، وَمَنْ خَالَفَهُمْ عَدُوًّا بَغِيضًا».

وَقَالَ أَيْضًا: «وَالوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا يَدًا وَاحِدَةً مَعَ المُحِقِّ عَلَى المُبْطِلِ، فَيَكُونُ المُعظَّمُ عِنْدَهُمْ مَنْ عَظَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَالمُقَدَّمُ عِنْدَهُمْ مَنْ قَدَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ»[2].

شَدُّ الرِّحَالِ إِلَى القُبُورِ:

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُ الشَّيْخِ حَسَن البنَّا رَحِمَهُ اللهُ: «كُنَّا فِي كَثِيرٍ مِنْ أَيَّامِ الجُمَعِ الَّتِي نَقْضِيهَا فِي (دمنهور) نَقْتَرِحُ رِحْلَةً؛ لِزِيَارَةِ الأَوْلِيَاءِ القَرِيبِينَ مِنْ (دمنهور)، فَكُنَّا -أَحْيَانًا- نَزُورُ دُسُوقِي، فَنَمْشِي عَلَى أَقْدَامِنَا بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ مُبَاشَرَةً، بِحَيثُ نَصِلُ حَوَالِي السَّاعَةِ الثَّامِنَةِ صَبَاحًا، فَنَقْطَعُ المَسَافَةَ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ وَهِيَ نَحْوُ عِشْرِينَ كِيْلُومِترًا، وَنَزُورُ،

---

(١) «للدُّعاةِ فَقَطْ» (ص١٢٢) لجاسم المهلل، وهذا الكتاب ردَّ عليه أحمدُ العَجميُّ في كتابه «وَقَفَات مع كتاب للدُّعاةِ فَقَطْ» بما لا مزيد عليه.

(٢) «الفتاوى» الجزء الثامن.

وَنُصَلِّي الجُمْعَةَ، وَنَسْتَرِيحُ بَعْدَ الغَدَاءِ وَنُصَلِّي العَصْرَ، وَنَعُودُ أَدْرَاجَنَا[١] إِلَى (دمنهور)، حَيثُ نَصِلُ إِلَيْهَا بَعْدَ المَغْرِبِ تَقْرِيبًا».[٢]

وَقَالَ فِي الصَّفْحَةِ نَفْسِهَا: «وَكُنَّا -أَحْيَانًا- نَزُورُ (عزبة النوام)، حَيثُ دُفِنَ فِي مَقْبَرَتِها الشَّيخ سَيِّدْ سِنْجَرْ مِنْ خَوَاصِّ رِجَالِ الطَّرِيقَةِ الحَصَافِيَّةِ، وَالمَعْرُوفِينَ بِصَلَاحِهِمْ وَتَقْوَاهُمْ، وَنَقْضِي هُنَاكَ يَومًا كَامِلًا ثُمَّ نَعُودُ»[٣].

تَمْجِيدُ التَّصَوُّفِ:

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُ الشَّيخِ حَسَن البنَّا رَحِمَهُ اللهُ: «نِظَامُ الدَّعْوَةِ فِي هَذَا الطَّوْرِ صُوفِيٌّ بَحْتٌ مِنَ النَّاحِيَةِ الرُّوحِيَّةِ»[٤].

وَلَعَلَّ قَائِلًا يَقُولُ: «إِنَّ المَقْصُودَ بِالتَّصَوُّفِ: طَهَارَةُ النَّفْسِ» وَهَذَا لَيْسَ بِسَدِيدٍ؛ فَالوَاقِعُ يَقُولُ عَكْسَ ذَلِكَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ حَسَن البنَّا رَحِمَهُ اللهُ: «وَالدُّعَاءُ إِذَا قُرِنَ بِالتَّوَسُّلِ إِلَى اللهِ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فَرْعِيٌّ فِي كَيْفِيَّةِ الدُّعَاءِ، وَلَيْسَ مِنْ مَسَائِلِ العَقِيدَةِ»[٥]. اهـ.

وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ لَيْسَ بِصَوَابٍ؛ لأَنَّ رَسُولَ ﷺ قَالَ: «**الدُّعَاءُ**

---

(١) نَعُودُ أَدْرَاجَنَا أَيْ: فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جِئْنَا مِنهُ.

(٢) «مُذكّرات الدَّعوة والداعية» للشيخ حَسَن البنَّا (ص٣٣).

(٣) المرجع السَّابق (ص٣٣).

(٤) «رسالة التعاليم» (١٢).

(٥) «شرح الأصول العشرين» (١٥٤).

هُوَ العِبَادَةُ»[١]. وَالعِبَادَةُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ خَالِصَةً للهِ، وَإِلَّا لَمْ يَقْبَلْهَا اللهُ، فَالأَمْرُ إِذًا مِنْ جَوْهَرِ العَقِيدَةِ.

وَيَزُولُ عَجَبُكَ -أَخِي الحَبِيبُ- إِنْ عَلِمْتَ أَنَّ الشَّيْخَ حَسَنًا البَنَّا رَحِمَهُ اللهُ كَانَ صُوفِيًّا عَلَى الطَّرِيقَةِ الحَصَافِيَّةِ! وَهَذِهِ هِيَ الحَقِيقَةُ المُرَّة -يَا عَزِيزِي- وَإِلَيْكَ الأَدِلَّةَ:

قَالَ الشَّيْخُ حَسَن البنَّا[٢]: "وَصَحِبْتُ الإِخْوَانَ الحَصَافِيَّة[٣] بـ(دمنهور)، وَوَاظَبْتُ عَلَى الحَضْرَةِ[٤] فِي مَسْجِدِ التَّوْبَةِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ". ثُمَّ قَالَ: "وَحَضَرَ السَّيِّدُ عَبدُ الوَهَّابِ (المُجِيزُ فِي الطَّرِيقَةِ الحَصَافِيَّة) وَتَلَقَّيتُ الحَصَافِيَّةَ الشَّاذِلِيَّةَ عَنْهُ، وَآذَنَنِي بِأَدْوَارِهَا وَوَظَائِفِهَا"[٥].

وَقَالَ جَابِرُ رِزْقٍ: "وَفِي دَمَنْهُورِ تَوَثَّقَتْ صِلَتُهُ (يَعْنِي: حَسَنًا البَنَّا) بِالإِخْوَانِ الحَصَافِيَّةِ، وَوَاظَبَ عَلَى الحَضْرَةِ فِي مَسْجِدِ التَّوْبَةِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مَعَ الإِخْوَانِ الحَصَافِيَّةِ، وَرَغِبَ فِي أَخْذِ الطَّرِيقَةِ، حَتَّى انْتَقَلَ مِنْ مَرْتَبَةِ (المُحِبِّ) إِلَى مَرْتَبَةِ (التَّابِعِ المُبَايِعِ)"[٦].

---

(١) أَخرَجَهُ أَبودَاود (٤/٣٥٢)، وَالتِّرمِذِيُّ (٨/٣٠٨)، وَابْنُ مَاجَه (٢/١٢٥٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي "صحيح الجامع" (٣٤٠٧)، وَشَيْخُنَا الوَادِعِيُّ رَحِمَهُمَا اللهُ فِي "الجامع الصحيح" (١٥٢٧).

(٢) "مُذَكِّرَاتُ الدَّعوَةِ وَالدَّاعيَةِ" (ص٢٧).

(٣) هِيَ: طَرِيقَةٌ صُوفِيَّةٌ.

(٤) وَهِيَ تَجَمُّعَاتٌ صُوفِيَّةٌ لِلذِّكْرِ وَالإِنْشَادِ.

(٥) "مُذَكِّرَاتُ الدَّعوةِ والدَّاعيَةِ" (ص٣٣).

(٦) "حَسَن البنَّا بِأَقْلَامِ تَلَامِذَتِهِ وَمُعَاصِرِيهِ" (ص٨).

وَقَالَ حَسَن البنَّا رَحِمَهُ اللهُ[1]: "وَفِي هَذِهِ الأَثْنَاءِ بَدَا لَنَا أَنْ نُؤَسِّس فِي المَحْمُودِيَّةِ جَمْعِيَّةً إِصْلَاحِيَّةً، هِيَ: (الجَمْعِيَّةُ الحَصَافِيَّةُ الخَيْرِيَّةُ)، وَانْتُخِبْتُ سِكِرْتِيرًا لَهَا، وَخَلَفَتْهَا فِي الكِفَاحِ جَمْعِيَّةُ (الإِخْوَانُ المُسْلِمُونَ) بَعْدَ ذَلِكَ".

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ[2]: "كَانَتْ أَيَّامُ دَمَنْهُورٍ وَمَدْرَسَةِ المُعَلِّمِينَ، أَيَّامَ الاسْتِغْرَاقِ فِي عَاطِفَةِ التَّصَوُّفِ وَالعِبَادَةِ...، فَكَانَتْ فَتْرَةَ اسْتِغْرَاقٍ فِي التَّعَبُّدِ وَالتَّصَوُّفِ" ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: "وَنَزَلْتُ دَمَنْهُور مُشْبعًا بِالفِكْرَةِ الحَصَافِيَّةِ. وَدَمَنْهُورُ مَقَرُّ ضَرِيحِ الشَّيْخِ السَّيِّدِ حَسَنِينِ الحَصَافِيِّ شَيْخِ الطَّرِيقَةِ الأُولَى".

وَنَقَلَ جَابِر رِزْق[3] حَدِيثَ عَبدِالرَّحْمَنِ البَنَّا عَنْ أَخِيهِ حَسَن البنَّا قَالَ فِيهِ: "وَعَقِبَ صَلَاةِ العِشَاءِ يَجْلِسُ أَخِي (حَسَن البنَّا) إِلَى الذَّاكِرِينَ فِي جَمَاعَةِ الإِخْوَانِ الحَصَافِيَّةِ، وَقَدْ أَشْرَقَ قَلْبُهُ بِنُورِ اللهِ، فَأَجْلِسُ إِلَى جِوَارِهِ نَذْكُرُ اللهَ مَعَ الذَّاكِرِينَ، وَقَدْ خَلَا المَسْجِدُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الذِّكْرِ، وَخَبَا الضَّوْءُ إِلَّا ذُبَالَةً مِنْ سِرَاجٍ، وَسَكَنَ اللَّيْلُ إِلَّا هَمَسَاتٍ مِنْ دُعَاءٍ، أَوْ وَمَضَاتٍ مِنْ ضِيَاءٍ، وَشَمَلَ المَكَانَ كُلَّهُ نُورٌ سَمَاوِيٌّ، وَلَفَّهُ جَلَالٌ رَبَّانِيٌّ، وَذَابَتِ الأَجْسَامُ وَهَامَتِ الأَرْوَاحُ، وَتَلَاشَى كُلُّ شَيْءٍ فِي الوُجُودِ وَانْمَحَى، وَانْسَابَ صَوْتُ المُنْشِدِ فِي

(١) "مُذكَّرات حَسَن البنَّا" ص(٢٨). (٢) في "مذكراته" (ص٣٢).

(٣) "حَسَن البنَّا بأقلام تلامذته ومعاصريه" (ص٧٠-٧١).

حَلَاوَةٍ وَتَطْرِيبٍ:

اللهُ قُلْ، وذَرِ الوُجودَ وَمَا حَوى   إنْ كُنْتَ مُرْتَادًا بُلُوغَ كَمَالِ

فَالكُلُّ دُونَ اللهِ -إنْ حَقَّقتَهُ-   عَدَمٌ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالإِجْمَالِ"

وَهَذَا البَيْتُ إِنْ لَمْ يَقْصِدْ بِهِ وِحْدَةَ الوُجُودِ، فَلَا أَدْرِي مَاذَا يَقْصِدُ؟!

فَهِيَ -وَاللهِ- وَاضِحَةٌ وُضُوحَ الشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ، وَتَعْنِي: أَنَّ اللهَ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ، وَهِيَ عَقِيدَةُ وَحْدَةِ الوُجُودِ!!.

وَقَالَ الشَّيْخُ حَسَن البنَّا رَحِمَهُ اللهُ[1]: "وَأَذْكُرُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَتِنَا أَنْ نَخْرُجَ فِي ذِكْرَى مَوْلِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالمَوْكِبِ بَعْدَ الحَضْرَةِ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ أَوَّلِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ إِلَى الثَّانِي عَشَرَ مِنْهُ، وَنَخْرُجُ بِالمَوْكِبِ وَنَحْنُ نُنْشِدُ القَصَائِدَ المُعْتَادَةَ، فِي سُرُورٍ كَامِلٍ وَفَرَحٍ تَامٍّ!". اهـ.

وَنَقَلَ جَابِر رِزْق[2] عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ البَنَّا وَصْفًا أَكْثَرَ دِقَّةً عَنِ المَوَالِدِ الَّتِي كَانَ يَحْضُرُهَا أَخُوهُ حَسَن البنَّا رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ عَبْدُالرَّحْمَنِ البَنَّا: "فَسَارَ فِي المَوْكِبِ (حَسَن البنَّا) يُنْشِدُ مَدْحَ الرَّسُولِ ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّهُ حِينَ يُهِلُّ هِلَالُ رَبِيعٍ الأَوَّلِ كُنَّا نَسِيرُ فِي مَوْكِبٍ مَسَائِيٍّ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ حَتَّى لَيْلَةِ الثَّانِي عَشَرَ، نُنْشِدُ القَصَائِدَ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ ﷺ، وَكَانَ مِنْ قَصَائِدِنَا المَشْهُورَةِ فِي هَذِهِ المُنَاسَبَةِ المُبَارَكَةِ:

---

(١) "مذكرات الدعوة والداعية" (ص٥٨).

(٢) "حَسَن البنَّا بأقلام تلامذته ومعاصريه" (ص٧١-٧٢)

صَلَّى الإِلَهُ عَلَى النُّورِ الَّذِي ظَهَرَا لِلعَالَمِينَ، فَفَاقَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَا

كَانَ هَذَا البَيْتُ الكَرِيمُ تُرَدِّدُهُ المَجْمُوعَةُ، بَيْنَمَا يُنْشِدُ أَخِي وَأُنْشِدُ مَعَهُ:

هَذَا الحَبِيبُ مَعَ الأَحْبَابِ قَدْ حَضَرَا وَسَامَحَ الكُلَّ فِيمَا قَدْ مَضَى وَجَرَى

لَقَدْ أَدَارَ عَلَى العُشَّاقِ خَمْرَتَهُ صِرْفًا[1] يَكَادُ سَنَاهَا يُذْهِبُ البَصَرَا

يَا سَعْدُ، كَرِّرْ لَنَا ذِكْرَ الحَبِيبِ، لَقَدْ بَلْبَلْتَ أَسْمَاعَنَا يَا مُطْرِبَ الفُقَرَا

وَمَا لِرَكْبِ الحِمَى[2] مَالَتْ مَعَاطِفُهُ؟! لَاشَكَّ أَنَّ حَبِيبَ القَوْمِ قَدْ حَضَرَا

فَانظُرْ -أَخِي حَفِظَكَ اللهُ- إِلَى تِلْكَ الأَبْيَاتِ، فَهِيَ لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ:

- فَقَوْلُهُ "هَذَا الحَبِيبُ مَعَ الأَحْبَابِ قَدْ حَضَرَا": أَيْ: رَسُولُ اللهِ ﷺ حَضَرَ مَعَهُمُ المَوْلِدَ.

- وَقَوْلُهُ: "وَسَامَحَ الكُلَّ فِيمَا قَدْ مَضَى وَجَرَى": أَيْ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَامَحَهُمْ عَلَى مَعَاصِيهِمْ، وَغَفَرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ! فَإِذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الَّذِي يُسَامِحُ الكُلَّ وَيَغْفِرُ، فَهَلْ يَبْقَى لِقَولِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥] مَعنًى؟!.

- وَقَوْلُهُ: "لَقَدْ أَدَارَ عَلَى العُشَّاقِ خَمْرَتَهُ": هُوَ وَصْفٌ لِحَالِهِمْ فِي لَيْلَةِ المَوْلِدِ كَحَالِ السُّكَارَى فِي خَمَّارَاتِهِمْ!، وَاللهُ المُسْتَعَانُ!!

(١) الصِّرفُ -بالكَسرِ-: الخَالِصُ غَيرُ المَمْزُوجِ بِغَيرِهِ.

(٢) الحِمَى بِزِنَةِ إِلَى: مَا حُمِيَ مِنْ شَيءٍ.

- وَأَمَّا قَوْلُهُ: "لَاشَكَّ أَنَّ حَبِيبَ القَوْمِ قَدْ حَضَرَا": فَفِيهِ تَأْكِيدٌ عَلَى حُضُورِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَهُمْ، كَمَا يَزْعُمُونَ![١]

وَلَعَلَّ قَائِلًا يَقُولُ: إِنَّ هَذَا كَانَ فِي أَوَّلِ حَيَاةِ حَسَن البَنَّا رحمه الله، وَهَذَا مُحَالٌ؛ لأَنَّ أَغْلَبَ مَنْ كَتَبُوا عَنْ حَسَن البَنَّا مِنْ تَلَامِذَتِهِ وَمُعَاصِرِيهِ لَمْ يَذْكُرُوا هَذَا، وَأَثْبَتُوا خِلَافَ ذَلِكَ، وَمَا نُقِلَ عَنْ عَبدِالرَّحمَنِ البَنَّا -سَابِقًا- كَانَ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ.

انْظُرْ مَا كَتَبَهُ سَعِيدُ حَوَّى فِي كِتَابِهِ "جَوْلَاتٌ فِي الفِقهَينِ"[٢]: "ثُمَّ إِنَّ حَرَكَةَ (الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ) نَفْسَهَا أَنْشَأَهَا صُوفِيٌّ، وَأَخَذَتْ حَقِيقَةَ التَّصَوُّف دُونَ سَلْبِيَّاتِهِ"[٣].

وَقَالَ النَّدوِي رحمه الله[٤]: "الشَّيْخُ حَسَن البنَّا وَنَصِيبُ التَّرْبِيَةِ الرُّوْحِيَّةِ فِي تَكْوِينِهِ وَفِي تَكْوِينِ حَرَكَتِهِ الكُبْرَى: أَنَّهُ كَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ -كَمَا صَرَّحَ بِنَفْسِهِ- فِي الطَّرِيقَةِ الحَصَافِيَّةِ الشَّاذِلِيَّةِ[٥]، وَكَانَ قَدْ مَارَسَ

---

(١) "دعوة الإخوان المسلمين في ميزان الإسلام" (ص٦٦) بتصرُّف.

(٢) الجولة الثامنة (ص١٥٤).

(٣) سَوْفَ تَعْرِفُ -أَخِي الحَبِيبُ- فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ نَمُوذَجًا لأَخْذِ سَعِيد حَوَّى حَقِيقَةَ التَّصَوُّفِ دُونَ سَلْبِيَّاتِهِ -إِنْ شَاءَ اللهُ- لِتَعْرِفَ التَّصَوُّفَ المُحَرَّرَ فِي نَظَرِ سَعِيدَ حَوَّى.

(٤) "التفسير السياسي الإسلامي" (ص١٣٨-١٣٩).

(٥) الشَّاذِلِيَة: نِسْبَةٌ إِلَى أَبِي الحَسَنِ الشَّاذِلِي، (ت: ٦٥٦هـ)، وُلِدَ بِقَرْيَةِ مُرْسِيَة، وَانْتَقَلَ إِلَى تُونُس، وَدَخَلَ العِرَاقَ، وَمَاتَ فِي صَحْرَاءِ عَيذَان. وَتَنْقَسِمُ طَرِيقَتُهُ إِلَى فُرُوعٍ، مِنْهَا: الحَصَافِيَّةُ، الجَوْهَرِيَّةُ، القَاسِمِيَّةُ، المَدَنِيَّةُ، المَلَكِيَّةُ، بَلْ يَصِلُ فُرُوعُهَا فِي قُرَى =

أَشْغَالَهَا وَأَذْكَارَهَا وَدَاوَمَ عَلَيْهَا مُدَّةً، وَقَدْ حَدَّثَنِي كِبَارُ رِجَالِهِ وَخَوَاصُّ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ بَقِيَ مُتَمَسِّكًا بِهَذِهِ الأَشْغَالِ وَالأَوْرَادِ إِلَى آخِرِ عَهْدِهِ، وَفِي زَحْمَةِ أَعْمَالِهِ".

وَقَالَ سَعِيدُ حَوَّى رَحِمَهُ اللهُ: "إِنَّ الصُّوفِيَّةَ عِنْدَهُمْ اصْطِلَاحُ الْمُرْشِدِ الكَامِلِ، وَلَقَدْ كَانَ الأُسْتَاذُ البَنَّا مُرْشِدًا كَامِلًا بِشَهَادَةِ كِبَارِ الصُّوفِيَّةِ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ كَذَلِكَ مُجَدِّدًا، وَالإِخْوَةُ النُّوَّابُ هُمْ خُلَفَاؤُهُ الحَقِيقِيُّونَ، وَهِيَ قَضِيَّةٌ يَجِبُ أَنْ تَأْخُذَ مَضْمُونَهَا الكَامِلَ فِي الدَّعْوَةِ"[1].

وَقَالَ -أَيْضًا-: "وَالحَرَكَةُ الإِسْلَامِيَّةُ المُعَاصِرَةُ اعْتَمَدَتِ التَّرْبِيَةَ الصُّوفِيَّةَ فِكْرًا وَسُلُوكًا بِشَكْلٍ مُجْمَلٍ؛ فَقَدْ ذَكَرَ الأُسْتَاذُ البَنَّا فِي "رِسَالَةِ التَّعَالِيمِ" كَيْفَ أَنَّ مَرْحَلَةً مِنَ المَرَاحِلِ طَابَعُهَا صُوفِيٌّ مِنْ جَانِبٍ وَسَلَفِيٌّ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، وَذَكَرَ فِي رِسَالَةِ المُؤْتَمَرِ الخَامِسِ أَنَّ مِنْ خَصَائِصِ دَعْوَتِنَا أَنَّهَا حَقِيقَةٌ صُوفِيَّةٌ"[2].

وَقَالَ -أَيْضًا-: "وَبِنَفْسِ الوَقْتِ أُرِيدُ أَنْ يَتَعَرَّفَ المُسْلِمُ عَلَى مَعْنَى

= وَمُدُنِ الرِّيفِ المِصْرِيِّ، إِلَى أَلْفِ فَرْعٍ، وَتِلْكَ الطَّرِيقَةُ، بَلْ كُلُّ الطُّرُقِ، إِنَّمَا هِيَ قَائِمَةٌ عَلَى القُبُورِ؛ يُقَدِّسُونَ أَصْحَابَهَا، وَيَسْتَغِيثُونَ بِهِمْ، وَيَتَمَسَّحُونَ بِأَعْتَابِهَا، وَيَطُوفُونَ حَوْلَ أَضْرِحَتِهِمْ، وَيَسْأَلُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى، بَلْ تَحَوَّلَتْ مُعْظَمُ مَسَاجِدِ الرِّيفِ المِصْرِيِّ مِنْ بُيُوتِ اللهِ إِلَى مَقَابِرَ لِلأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، تُمَارَسُ فِيهَا كُلُّ مَظَاهِرِ الشِّرْكِ بِاللهِ، مِنْ طَوَافٍ وَدُعَاءٍ وَاسْتِغَاثَةٍ، وَتَقْبِيلٍ لِلأَعْتَابِ. انظر: "الصوفية الوجه الآخر" للدكتور محمد جميل غازي (ص٩٣).

(١) "تربيتنا الروحية" (ص٢١). (٢) المرجع السابق (ص١٧).

الحَقِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ، الَّتِي هِيَ سِمَاتُ دَعْوَةِ الأُسْتَاذِ البَنَّا»[١].

عَقِيدَةُ الشَّيخِ حَسَن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ وانعِكَاسهَا عَلَى أتبَاعِهِ:

لَقَدِ انْعَكَسَتْ هَذِهِ العَقِيدَةُ عَلَى أَتْبَاعِ حَسَن البنَّا، بَلْ عَلَى قَادَتِهِمْ وَالْمُنَظِّرِينَ فِي مَنْهَجِهِمْ: كَسَيِّد قُطْب، وَمُصْطَفَى السِّبَاعِي، وَسَعِيد حَوَّى، وَعُمَر التِّلْمِسَانِي، ويُوسُف القَرْضَاوِي، وَأَمْثَالِهِمْ، وَإِلَيْكَ البَيَانَ:

١) سَيِّد قُطْب

لَقَدْ تَبَنَّى سَيِّدْ قُطْب رَحِمَهُ اللَّهُ رَأْيَ الخَلَفِ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ عُمُومًا، وَفِي آيَاتِ الاسْتِوَاءِ خُصُوصًا، وَالدَّلِيلُ مَا يَأْتِي:

(أ) سَيِّد قُطْب يُؤَوِّلُ الاستِوَاءَ:

قَالَ سَيِّد قُطْب[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٨]: «وَلَا مَجَالَ لِلخَوْضِ فِي مَعْنَى الاسْتِوَاءِ إِلَّا بِأَنَّهُ رَمْزُ السَّيْطَرَةِ وَالقَصْدِ بِإِرَادَةِ الخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ».

وَهَذَا تَفْسِيرُ الْمُعْتَزِلَةِ، أَثْبَتَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي «الكشاف» عِنْدَ تَفْسِيرِ آيَةِ البَقَرَةِ: ٢٩ فَقَالَ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أَيْ: قَصَدَ إِلَيْهَا بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، بَعْدَ خَلْقِ مَا فِي الأَرْضِ».

---

(١) المرجع السابق (ص١٨)

(٢) «في ظلال القرآن» (ص١/ ٦٢).

وَهَذَا القَوْلُ البَاطِلُ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ؛ لأَنَّ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أَخْبَرَ أَنَّ العَرْشَ كَانَ عَلَى المَاءِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَثَبَتَ ذَلِكَ فِي "صحيح البخاري" كِتَابِ بِدْءِ الخَلْقِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الحُصَيْنِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**»[1].

فَإِذَا كَانَ العَرْشُ مَخْلُوقًا قَبْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، فَكَيْفَ يَكُونُ اسْتِوَاؤُهُ قَصْدَهُ إِلَى خَلْقِهِ لَهُ؟!

وَقَالَ سَيِّد رحمه الله عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾: وَالاسْتِوَاءُ عَلَى العَرْشِ كِنَايَةٌ عَنِ السَّيْطَرَةِ وَالاسْتِعْلَاءِ.

وَهَذَا التَّفْسِيرُ هُوَ رَأْيُ الجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، أَمَّا تَفَاسِيرُ السَّلَفِ -رَحِمَهُمُ اللهُ- فَمَدَارُهَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ، كُلُّهَا تَعْنِي العُلُوَّ.

أَخرَجَهَا البُخَارِيُّ فِي "صحيحه"، قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: علا، وَقَالَ ابْنُ رَاهَوَيه: سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ يَقُولُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] أَيِ: ارْتَفَعَ.

وَجَمَعَهَا ابْنُ القَيِّمِ رحمه الله فِي نُونِيَّتِهِ فَقَالَ:

وَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيهَا أَرْبَعٌ ... قَدْ حُصِّلَتْ لِلفَارِسِ الطَّعَّانِ:

وَهِيَ اسْتَقَرَّ، وَقَدْ عَلَا، وَكَذَلِكَ ارْ ... تَفَعَ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ

---

(١) البخاريُّ (٣١٩١).

كَذَاكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابِعٌ   وَأَبُوعُبَيدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِ

وَاعْلَمْ -أَخِي فِي اللهِ- أَنَّهُ يَلْزَمُ مَنْ فَسَّرَ الاسْتِوَاءَ بِالاسْتِيلَاءِ فِي هَذَا المَقَامِ نِسبَةُ الشَّرِيكِ للهِ فِي خَلْقِهِ يُضَادُّهُ فِي أَمْرِهِ؛ لأَنَّ الاسْتِيلَاءَ لُغَةً لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ المُغَالَبَةِ، فَإِنْ وَقَعَ الظَّفَرُ قِيلَ: اسْتَولَى عَلَى كَذَا[1].

فَمَنْ يَكُونُ المُضَادُّ للهِ، حَتَّى تَمَكَّنَ اللهُ مِنَ التَّغَلُّبِ عَلَيْهِ، وَالاسْتِيلَاءِ عَلَى مُلْكِهِ مِنْهُ؟!! إِنَّهُ لَا مَنَاصَ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ الفَاسِدِ إِلَّا بِالرُّجُوعِ إِلَى تَفْسِيرِ السَّلَفِ، فَعَنْ نَفْطَوَيْهِ: حَدَّثَنَا دَاودُ بْنُ عَلِيٍّ: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ الأَعْرَابِيِّ فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبدِاللهِ، مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[طه:٥]؟ قَالَ: هُوَ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا أَخْبَرَ، قَالَ: يَا أَبَا عَبدِاللهِ، إِنَّمَا مَعْنَاهُ اسْتَولَى. فَقَالَ: اسْكُتْ!! لَا يُقَالُ: استَولَى عَلَى الشَّيءِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مُضَادٌّ؛ إِذَا غَلَبَ أَحَدُهُمَا، قِيلَ: استَولَى، كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ:

إِلَّا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ   سَبْقَ الجَوَادِ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الأَحَدِ[2]

(ب) قَوْلُ سَيِّد قُطْب رَحِمَهُ اللهُ بِخَلْقِ القُرْآنِ

أَخِي، قَدْ يَسْتَفِزُّكَ هَذَا العُنْوَانُ، وَلَكِنْ تَمَهَّلْ وَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمِكَ

---

(١) "الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة" تأليف/ سليم الهلالي (ص٢٢٤).

(٢) أخرجه الخطيب في "تاريخ بغداد" (٥/ ٢٨٤)، واللالكائيُّ في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٣/ ٣٩٣)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (ص٥٢٣)، والذَّهبيُّ في "العلو" (ص١٣٣). وإسناده صحيح.

صَاحِبًا؛ فَلَعَلَّ لَهُ دَلِيلًا وَأَنْتَ تَلُومُ، وَهَاهِيَ الأَدِلَّةُ بَيْنَ يَدَيْكَ:

قَالَ سَيِّد رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ تَكَلَّمَ فِي الحُرُوفِ المُقَطَّعَةِ: «لَكِنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يُؤَلِّفُوا مِثْلَ هَذَا الكِتَابِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ صُنْعِ اللهِ لَا مِنْ صُنْعِ الإِنْسَانِ»[(١)].

وَيَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَقْرِيرِ أَنَّ القُرْآنَ مَصْنُوعٌ (أَيْ: مَخْلُوقٌ): «وَكَمَا أَنَّ الرُّوحَ مِنَ الأَسْرَارِ الَّتِي اخْتَصَّ اللهُ بِهَا، فَالقُرْآنُ مِنْ صُنْعِ اللهِ الَّذِي لَا يَمْلِكُ الخَلْقُ مُحَاكَاتَهُ»[(٢)].

قُلْتُ: غَفَرَ اللهُ لِسَيِّد! كَيْفَ خَفِيَ عَلَيهِ أَخْبَارُ الفِتْنَةِ الَّتِي دَارَتْ رَحَاهَا عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ أَيَّامَ المَأْمُونِ وَالمُعْتَصِمِ وَالوَاثِقِ، وَمَا جَرَى لِلإِمَامِ أَحْمَدَ عَلَى أَيْدِي الجَهْمِيَّةِ وَالمُعْتَزِلَةِ؟!

وَقَدْ أَجْمَعَ السَّلَفُ عَلَى أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. وَكَلَامُهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، وَاشْتَدَّ نَكِيرُهُمْ عَلَى مَنْ قَالَ بِخَلْقِ القُرْآنِ، قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَالَ ابْنُ عُيَينَةَ وَمُعَاذٌ وَالحَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ وَهَاشِمُ بْنُ القَاسِمِ وَالرَّبِيعُ بْنُ نَافِعٍ الحَلَبِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ وَعَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ وَيَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَأَهْلُ العِلْمِ: مَنْ قَالَ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ كَافِرٌ»[(٣)] [(٤)].

---

(١) «في ظلال القرآن» (٥/ ٢٧١٩). (٢) «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٢٤٩-٢٢٥٠).

(٣) «خلق أفعال العباد» لأمير المؤمنينَ في الحديثِ محمَّدِ بنِ إسماعيلَ البخاريِّ (ص٢٥)

(٤) مَعَاذَ اللهِ أَنْ نُكَفِّرَ سَيِّد قُطْبٍ بِهَذَا النَّقْلِ! وَإِنَّمَا نُؤَكِّدُ أَنَّ كَلَامَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِحَاجَةٍ إِلَى =

(ج) سَيِّد قُطْب لَا يَقْبَلُ أَحَادِيثَ الآحَادِ فِي العَقِيدَةِ

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُ سَيِّد قُطْب رَحِمَهُ اللهُ (وَرَدَتْ رِوَايَاتٌ بَعْضُهَا صَحِيحٌ وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مُتَوَاتِرٍ، وَأَحَادِيثُ الآحَادِ لَا يُؤْخَذُ بِهَا فِي أَمْرِ العَقِيدَةِ، وَالمَرْجِعُ هُوَ القُرْآنُ، وَالتَّوَاتُرُ شَرْطٌ لِلأَخْذِ بِالأَحَادِيثِ فِي أُصُولِ الاعْتِقَادِ).[1] اهـ.

وَالجَوَابُ عَلَى هَذَا: أَنَّ هَذَا الشَّرطَ اشْتَرَطَهُ الجَهْمِيَّةُ وَالمُعْتَزِلَةُ؛ كَيْ يَنْصُرُوا مَذْهَبَهُمُ البَاطِلَ، وَلَا دَلِيلَ عِنْدَهُمْ، وَقَدْ جَارَاهُمْ سَيِّد رَحِمَهُ اللهُ وَخَالَفَ جَمَاهِيرَ العُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالخَلَفِ؛ حَيثُ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ خَبَرَ الآحَادِ إِذَا تَلَقَّتْهُ الأُمَّةُ بِالقَبُولِ تَصْدِيقًا لَهُ وَعَمَلًا بِمُوجِبِهِ، أَفَادَ العِلْمَ وَعَلَى هَذَا أَهْلُ الحَدِيثِ قَاطِبَةً، وَأَحَادِيثُ الصَّحِيحَيْنِ مِنْ هَذَا النَّوْعِ[2].

(د) سَيِّد قُطْب يُفَسِّرُ كَلَامَ اللهِ بِالمُوسِيقَى وَالأَنْغَامِ وَالأَنَاشِيدِ:

قَالَ سَيِّد قُطْب رَحِمَهُ اللهُ عِنْدَ تَفْسِيرِهِ لِسُورَةِ النَّجْمِ: (هَذِهِ السُّورَةُ فِي

= تَنْقِيحٍ، وَيَاحَبَّذَا لَوْ يُسْتَفَادُ مِنْ كِتَابِ «تَنْقِيَةُ الظِّلَالِ مِنْ عَقَائِدِ الضَّلَالِ» لِسَلِيمِ الهِلَالِيِّ، وَكِتَابِ «المَوْرِدُ الزُّلَالُ فِي التَّنْبِيهِ عَلَى أَخْطَاءِ الظِّلَالِ» لِلدُّوَيْشِ.

(١) «في ظلال القرآن» (٦/ ٤٠٠٨).

(٢) انظر هذا البَحْثَ في: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابْنِ تَيْمِيَّةَ (١٨/ ٤٠-٤٨-٤٩) و«مختصر الصواعق المرسلة» لابن القيِّم (ص٤٨١-٤٨٢)، و«النكت» للحافظ ابن حَجَرٍ على مقدمة ابن الصّلاح (١/ ٣٧١-١٧٩)، و«الإحكام في أصول الأحكام» لابن حَزْمٍ (١/ ١١٩-١٣٧).

عُمُومِهَا كَأَنَّهَا مَنْظُومَةٌ مُوسِيقِيَّةٌ عُلْوِيَّةٌ، مُنَغَّمَةٌ، يَسْرِي التَّنْغِيمُ فِي بِنَائِهَا اللَّفْظِيِّ كَمَا يَسْرِي فِي إِيقَاعِ فَوَاصِلِهَا الْمَوْزُونَةِ الْمُقَفَّاةِ)[١].

وَقَالَ فِي تَفْسِيرِهِ سُورَةَ النَّازِعَاتِ: (يَسُوقُهُ فِي إِيقَاعٍ مُوسِيْقِيٍّ).

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: (فَيَهْدَأُ الإِيْقَاعُ الْمُوسِيقِيُّ)[٢].

وَقَالَ عَنْ سُورَةِ العَادِيَاتِ: (وَالإِيقَاعُ الْمُوسِيقِيُّ فِيهِ خُشُونَةٌ وَدَمْدَمَةٌ وَفَرْقَعَةٌ)[٣].

وَقَالَ: (إِنَّ دَاودَ الْمَلِكَ النَّبِيَّ كَانَ يُخَصِّصُ بَعْضَ وَقْتِهِ لِلتَّصَرُّفِ فِي شُئُونِ الْمُلْكِ، وَلِلقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ، وَيُخَصِّصُ البَعْضَ الآخَرَ لِلخَلْوَةِ وَالعِبَادَةِ، وَتَرْتِيلِ أَنَاشِيدَ تَسْبِيحًا للهِ)[٤].

(هـ) سَيِّدْ قُطْب يُكَفِّرُ الْمُجْتَمَعَاتِ الإِسْلَامِيَّةَ[٥]:

قَالَ سَيِّد قُطْب ﷺ: (إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ اليَومَ دَوْلَةٌ

---

(١) "في ظلال القرآن" (٦/ ٣٤٠٤)، الطبعة ٢٥ عام (١٤١٧هـ).

(٢) المرجع السابق (٦/ ٣٨١١).

(٣) المرجع السابق (٦/ ٣٩٥٧).

(٤) المرجع السابق (٥/ ٣٠١٨).

(٥) يَشْهَدُ عَلَى سَيِّد قُطْب بِتَكْفِيرِهِ الْمُجْتَمَعَاتِ الإِسْلَامِيَّةَ يُوسُفُ القَرْضَاوِي فِي كِتَابِهِ: "أَوْلَوِيَّاتُ الحَرَكَةِ الإِسْلَامِيَّةِ" (ص١١٠) حَيْثُ قَالَ: (فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ ظَهَرَتْ كُتُبُ سَيِّد قُطْبٍ التِي تُمَثِّلُ الْمَرْحَلَةَ الأَخِيرَةَ مِنْ تَفْكِيرِهِ، الَّذِي يَنْضَحُ بِتَكْفِيرِ الْمُجْتَمَعِ...، وَإِعْلَانِ الجِهَادِ الهُجُومِي عَلَى النَّاسِ كَافَّةً).

وَقَالَ: فَرِيدُ عَبْدالخَالِقِ -أَحَدُ قَادَةِ الإِخْوَانِ- فِي كِتَابِهِ "الإِخْوَانُ الْمُسْلِمونَ فِي=

مُسْلِمَةٌ، وَلَا مُجْتَمَعٌ مُسْلِمٌ قَاعِدَةُ التَّعَامُلِ مِنْهُ هِيَ شَرِيعَةُ اللهِ وَالفِقْهُ الإِسْلَامِيُّ)(١).

وَقَالَ: (إِنَّ المُسْلِمِينَ الآنَ لَا يُجَاهِدُونَ؛ ذَلِكَ أَنَّ المُسْلِمِينَ اليَوْمَ لَا يُوجَدُونَ. إِنَّ قَضِيَّةَ وُجُودِ الإِسْلَامِ، وَوُجُودِ المُسْلِمِينَ هِيَ الَّتِي تَحْتَاجُ اليَوْمَ إِلَى عِلَاجٍ)(٢).

وَقَالَ: (لَقَدِ اسْتَدَارَ الزَّمَانُ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ جَاءَ هَذَا الدِّينُ إِلَى

= مِيزَانِ الحَقِّ" (ص١١٠): (إِنَّ نَشْأَةَ فِكْرَةِ التَّكْفِيرِ بَدَأَتْ بَيْنَ بَعْضِ شَبَابِ الإِخْوَانِ فِي سِجْنِ القَنَاطِرِ فِي أَوَاخِرِ الخَمْسِينَاتِ وَبِدَايَةِ السِّتِّينَاتِ، وَإِنَّهُم تَأَثَّرُوا بِفِكْرِ سَيِّد قُطْب وَكِتَابَاتِهِ، وَأَخَذُوا مِنْهَا أَنَّ المُجْتَمَعَ فِي جَاهِلِيَّةٍ، وَأَنَّهُ قَدْ كَفَّرَ حُكَّامَهُ الَّذِينَ تَنَكَّرُوا لِحَاكِمِيَّةِ اللهِ بِعَدَمِ الحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَمَحْكُومِيهِمْ، إِذْ رَضُوا بِذَلِكَ).

وَقَالَ عَلِيُّ عَشْمَاوِي فِي كِتَابِهِ "التَّارِيخُ السِّرِّيُّ لِلإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ" (ص٨٠): (وَجَاءَنِي أَحَدُ الإِخْوَانِ، وَقَالَ لِي: إِنَّهُ سَوْفَ يَرْفُضُ أَكْلَ ذَبِيحَةِ المُسْلِمِينَ المَوْجُودَةِ حَالِيًا، فَذَهَبْتُ إِلَى سَيِّد قُطْب، وَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: دَعْهُمْ يَأْكُلُونَهَا، فَيَعْتَبِرُونَهَا ذَبِيحَةَ أَهْلِ الكِتَابِ، فَعَلَى الأَقَلِّ المُسْلِمُونَ الآنَ هُمْ أَهْلُ الكِتَابِ).

وَقَالَ عَلِيُّ عَشْمَاوِي فِي نَفْسِ الكِتَابِ (ص١١٢) وَهُوَ يَصِفُ زِيَارَتَهُ لِسَيِّد قُطْب وَمُقَابَلَتِهِ لَهُ: (وَجَاءَ وَقْتُ صَلَاةِ الجُمْعَةِ، فَقُلْتُ لِسَيِّد قُطْب: دَعْنَا نَقُمْ نُصَلِّي، وَكَانَتِ المُفَاجَأَةُ أَنْ عَلِمْتُ -وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ- أَنَّهُ لَا يُصَلِّي الجُمْعَةَ، وَقَالَ: إِنَّهُ يَرَى أَنَّ صَلَاةَ الجُمْعَةِ تَسْقُطُ إِذَا سَقَطَتِ الخِلَافَةُ، وَأَنَّهُ لَا جُمْعَةَ إِلَّا بِخِلَافَةٍ).

قُلْتُ: تِلْكَ الأَفْكَارُ قَدْ تَبَنَّتْهَا الأَجْيَالُ، وَظَهَرَتْ آثَارُهَا فِي التَّفْجِيرَاتِ وَالاغْتِيَالَاتِ، وَتِلْكَ الأَفْكَارُ هِيَ الَّتِي جَعَلَتِ العَلَّامَةَ المُحَدِّثَ أَحْمَد شَاكِر يَحْكُمُ عَلَى (الإِخْوَانِ) بِقَوْلِهِ: (الإِخْوَانُ المُسْلِمُونَ خَوَارِجُ العَصْرِ). كَمَا فِي مَجَلَّةِ الأَصَالَةِ (٤٠/ص١١).

(١) "في ظلال القرآن" (٤/ ٢١٢٢). (٢) المرجع السابق (٣/ ١٦٣٤).

البَشَرِيَّةِ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدِ ارْتَدَّتِ البَشَرِيَّةُ إِلَى عِبَادَةِ العِبَادِ، وَإِلَى جَوْرِ الأَدْيَانِ، وَنَكَصَتْ عَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِنْ ظَلَّ فَرِيقٌ مِنْهَا يُرَدِّدُ عَلَى المَآذِنِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)[1].

وَقَالَ: (إِنَّ المُجْتَمَعَ الجَاهِلِيَّ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ لَيسَ هُوَ المُجْتَمَعَ المُسْلِمَ)[2].

٢) مُصْطَفَى السِّبَاعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ المُرْشِدُ العَامُّ لِلإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ فِي سُورِيَا سَابِقًا.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ فِي قَصِيدَةٍ نَظَمَهَا فِي الرَّوْضَةِ النَّدِيَّةِ، وَتَلَاهَا أَمَامَ الحُجْرَةِ قَبْلَ الحَجِّ وَبَعْدَهُ، وَعُنْوَانُهَا "مُنَاجَاةٌ بَيْنَ يَدَي الحَبِيبِ الأَعْظَمِ[3]" وَمِنْ ضِمْنِ مَا قَالَ فِيهَا:

يَا سَائِقَ الظُّعْنِ[4] نَحْوَ البَيْتِ وَالحَرَمِ ... وَنَحْوَ طَيْبَةَ[5] تَبْغِي سَيِّدَ الأُمَمِ

إِنْ كَانَ سَعْيُكَ لِلمُخْتَارِ نَافِلَةً ... فَسَعْيُ مِثْلِي فَرْضٌ عِنْدَ ذِي الهِمَمِ

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهِ، جِئْتُ إِلَى ... أَعْتَابِ بَابِكَ أَشْكُو البَرْحَ[6] مِنْ سَقَمِي

يَا سَيِّدِي قَدْ تَمَادَى السُّقْمُ فِي جَسَدِي ... مِنْ شِدَّةِ السُّقْمِ لَمْ أَغْفَلْ وَلَمْ أَنَمِ

---

(١) المرجع السابق (٢/١٠٥٧). (٢) المرجع السابق (٦/٤٠٠٢).

(٣) انظر: "مجلة حضارة الإسلام" السنة الخامسة عام ١٩٦٤م(ص٢٠٤).

(٤) الظُّعن بضمَّةٍ وبضَّمتين-: جَمْعُ ظَعِينَةٍ، وَهِيَ: الجَمَلُ الَّذي عليه الهَوْدَجُ.

(٥) طَيْبة -بالفَتْح-: المَدِينَةُ النَّبَوِيَّة. (٦) البَرْح -بالفتح-: الشِّدَّة.

وَالجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَوَّلًا: أَنَّهُ جَعَلَ سَعْيَهُ إِلَى قَبْرِ الرَّسُولِ ﷺ فَرْضًا، وَهَذَا لَا دَلِيلَ عَلَيهِ؛ لأَنَّ شَدَّ الرِّحَالِ لَا يَجُوزُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدُ الحَرَامُ، وَمَسجِدِي هَذَا، وَالمَسْجِدُ الأَقْصَى**»[1].

ثَانِيًا: أَنَّهُ اسْتَغَاثَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَنَادَاهُ شَاكِيًا، وَاللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَقُولُ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس:١٠٦]، وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»[2]. فَالدُّعَاءُ عِبَادَةٌ كَالصَّلَاةِ، لَا يَجُوزُ لِغَيرِ اللهِ، وَلَوْ كَانَ رَسُولاً نَبِيًّا، وَهُوَ مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ الَّذِي يُحْبِطُ العَمَلَ، وَيُخَلِّدُ صَاحِبُهُ فِي النَّارِ.

٣) سَعِيدُ حَوَّى رحمه الله:

وَسَعِيدُ حَوَّى رحمه الله هُوَ أَحَدُ أَكْبَرِ كِبَارِ قَادَةِ وَمُنَظِّرِي جَمَاعَةِ (الإِخْوَانِ)، كَانَ لَهُ دَوْرٌ بَارِزٌ فِي انْتِشَارِ حَرَكَةِ (الإِخْوَانِ)، وَلَاسِيَّمَا فِي سُورِيَةَ وَبَعْضِ بِلَادِ الشَّامِ، وَهُوَ صَاحِبُ المُؤَلَّفَاتِ الَّتِي يَتَدَاوَلُهَا (الإِخْوَانُ) فِيمَا بَيْنَهُمْ كَـ"المَدْخَلِ إِلَى دَعْوَةِ الإِخْوَانِ"، وَمِنْهَا مَا

---

(١) رواهُ البخاريُّ (١١٨٩)، ومسلمٌ (١٣٩٧)، عَنْ أبي هُريرَة رضي الله عنه.

(٢) تقدّم تخريجُهُ.

يُدَرَّسُ فِي جَامِعَةِ الإِيمَانِ كَـ«الْمُسْتَخْلَصِ فِي تَزْكِيَةِ الأَنْفُسِ».

وَهُوَ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا يَخْتَلِفُ عَنْ سَابِقِيهِ مِنْ حَيْثُ الخَلْطُ فِي أُمُورِ العَقِيدَةِ لأَدِلَّةٍ، مِنهَا:

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ لِلْمُسْلِمِينَ خِلَالَ العُصُورِ أَئِمَّتَهُمْ فِي الاعْتِقَادِ، فَأَئِمَّتُهُمْ فِي الاعْتِقَادِ، كَأَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ، وَأَبِي مَنْصُورٍ المَاتُرِيدِيِّ»[1].

وَقَالَ -أَيضًا-: «وَسَلَّمَتِ الأُمَّةُ فِي قَضَايَا العَقَائِدِ لاثْنَينِ: أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ، وَأَبِي مَنْصُورٍ المَاتُرِيدِيِّ»[2].

وَالجَوَابُ عَلَيهِ: أَنَّ عَقِيدَةَ الأَشَاعِرَةِ وَالمَاتُرِيدِيَّةِ غَيْرُ عَقِيدَةِ السَّلَفِ، فَعَقِيدَةُ السَّلَفِ تَمْنَعُ صَرْفَ النُّصُوصِ عَنْ ظَوَاهِرِهَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، مَعَ نَفْيِ مَا يَجِبُ نَفْيُهُ عَنِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى- مِنَ التَّمْثِيلِ، أَوِ التَّكْيِيفِ، وَعَقِيدَةُ الأَشَاعِرَةِ وَالمَاتُرِيدِيَّةِ تُوجِبُ صَرْفَ النُّصُوصِ عَنْ ظَوَاهِرِهَا فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، يَقُولُ صَاحِبُ كِتَابِ «جَوْهَرَةِ التَّوحِيدِ» -وَهُوَ مِنَ الكُتُبِ المُعْتَمَدَةِ لَدَيهِمْ-:

وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا أَوِّلْهُ، أَوْ فَوِّضْ وَرُمْ تَنْزِيهَا

يَقُولُ صَاحِبُ كِتَابِ «إِتْحَافُ المُرِيدِ بِشَرْحِ جَوْهَرَةِ التَّوحِيدِ» (١٣١-١٣٢) فِي مَعْنَى كَلِمَةِ «أَوِّله»: «أَيْ: وُجُوبًا بِأَنْ تَحْمِلَهُ عَلَى

(١) «جولة في الفقهين» (ص٢٢-٦٢). (٢) المرجع السابق (٢٢).

خِلَافِ ظَاهِرِهِ". اهـ.

وَقَالَ فِي (ص٥٥) مِنْ هَذَا الكِتَابِ: "إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لَا دَاخِلَ العَالَمِ، وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا يَمِينَ وَلَا شِمَالَ، وَلَا فَوْقَ وَلَا تَحْتَ، وَلَا أَمَامَ وَلَا خَلْفَ، وَلَا مُتَّصِلٌ بِالعَالَمِ، وَلَا مُنْفَصِلٌ عَنْهُ".

فَهَكَذَا ضَيَّعَتِ الأَشْعَرِيَّةُ رَبَّهَا، فَلَمْ تَدْرِ أَيْنَ هُوَ!! فَأَيُّ أَشْعَرِيَّةٍ وَأَيُّ مَاتُرِيدِيَّةٍ سَلَّمَتْ لَهَا الأُمَّةُ فِي قَضَايَا العَقَائِدِ خِلَالَ العُصُورِ؟!

وَهَلْ أُمَّةٌ لَمْ تُسَلِّمْ فِي الفُرُوعِ لأَحَدٍ سِوَى الوَحْيَيْنِ، تُسَلِّمُ فِي قَضَايَا الأُصُولِ لِرَجُلَيْنِ؟!

وَقَالَ سَعِيد حَوَّى رحمه الله: "وَمِنْ أَجْلِ الضَّوَابِطِ الدَّقِيقَةِ لِعِلْمِ العَقَائِدِ، وُجِدَ عِلْمُ المَنْطِقِ الإِسْلَامِيِّ، بَعْدَ تَطْوِيرِهِ عَنِ المَنْطِقِ اليُونَانِيِّ"[1]. وَقَالَ -أَيْضًا-: "إِنَّهُ يَعْصِمُ العَقْلَ (أَيْ: عِلْمَ المَنْطِقِ) مِنَ الخَطَإِ فِي بَابِ العَقَائِدِ". اهـ[2].

وَالجَوَابُ عَلَيْهِ: أَنَّ أَئِمَّةَ السَّلَفِ -رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى- نَهَوْا عَنْ عِلْمِ الكَلَامِ، وَحَذَّرُوا مِنْهُ وَاتَّفَقُوا عَلَى ذَمِّهِ.

قَالَ أَبُويُوسُف -تِلْمِيذُ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُمَا اللهُ-: "مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالكَلَامِ، فَقَدْ تَزَنْدَقَ"[3].

---

(١) المرجع السابق (٤٨). (٢) المرجع السابق (١١٨).

(٣) أخرجه الخطيب في "شرف أصحاب الحديث" (ص٥)، وانظر: "شرح الطحاوية" (ص٧٨).

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: "حُكْمِي فِي أَهْلِ الكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي العَشَائِرِ وَالقَبَائِلِ، وَيُقَالَ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى الكَلَامِ"[١].

وَيَصِفُهُمُ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: "إِنَّهُمْ أَهْلُ بِدَعٍ، وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الكِتَابِ، مُخَالِفُونَ لِلكِتَابِ، مُتَّفِقُونَ عَلَى مُفَارَقَةِ الكِتَابِ، يَتَكَلَّمُونَ بِالمُتَشَابِهِ مِنَ الكَلَامِ، وَيَخْدَعُونَ جُهَّالَ النَّاسِ بِمَا يُلَبِّسُونَ عَلَيهِمْ"[٢].

ثُمَّ اعْلَمْ -أَخِي- أَنَّ عِلْمَ الكَلَامِ وَالمَنْطِقِ يُشَوِّهُ العَقِيدَةَ، وَيُفْسِدُ القُلُوبَ، وَيَعْصِمُ العُقُولَ عَنِ الهُدَى، وَهَذِهِ اعْتِرَافَاتُ بَعْضِ أَقْطَابِ عِلْمِ الكَلَامِ، وَإِنَّهَا لَخَيْرُ دَلِيلٍ يَشْهَدُ بِالحَقِّ وَفَصْلِ الخِطَابِ.

قَالَ العَلَّامَةُ ابْنُ دَقِيقِ العِيد رَحِمَهُ اللهُ:

تَجَاوَزْتُ حَدَّ الأَكْثَرِينَ إِلَى العُلَا وَسَافَرْتُ وَاسْتَبْقَيْتُهُمْ فِي المَفَاوِزِ
وَخُضْتُ بِحَارًا لَيْسَ يُدْرَكُ قَعْرُهَا وَسَيَّرْتُ نَفْسِي فِي قَسِيمِ المَفَاوِزِ
وَلَجِجْتُ فِي الأَفْكَارِ، ثُمَّ تَرَاجَعَ اخْـ ـتِيَارِي إِلَى اسْتِحْسَانِ دِينِ العَجَائِزِ[٣]

وَقَالَ الشِّهْرِسْتَانِي -وَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ-:

---

(١) "شرح الطحاوية" (ص ٧٢).

(٢) "موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول" ابن تيمية (١/ ٢٣).

(٣) يَعنِي: أَنَّ العَجَائِزَ مُؤمِنَاتٌ بِاللهِ عَلَى فِطرَةِ الإِسلَامِ.

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ المَعَاهِدَ كُلَّهَا وَسَيَّرْتُ طَرْفِي[(١)] بَيْنَ تِلْكَ المَعَالِمِ[(٢)]

فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقَنٍ، أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ[(٣)]

فَرَدَّ عَلَيهِ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الأَمِيرُ الصَّنْعَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

لَعَلَّكَ أَهْمَلْتَ الطَّوَافَ بِمَعْهَدِ الْـ رَّسُولِ وَمَنْ وَالاهُ مِنْ كُلِّ عَالِمِ

فَمَا حَارَ مَنْ يَهْدِي بِهَدْيِ مُحَمَّدٍ وَلَسْتَ تَرَاهُ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُوعَبدِاللهِ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، كَمَا نَقَلَ عَنْهُ ابْنُ خَلِّكَان رَحِمَهُ اللهُ فِي «وَفَيَاتِ الأَعْيَانِ»:

نِهَايَةُ إِقْدَامِ العُقُولِ عِقَالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ العَالَمِينَ ضَلَالُ

وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَغَايَةُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ فَبَادُوا جَمِيعًا مُسْرِعِينَ وَزَالُوا

وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ قَدْ عَلَتْ شُرُفَاتِهَا رِجَالٌ فَزَالُوا وَالجِبَالُ جِبَالُ[(٤)]

وَفَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي رَحِمَهُ اللهُ مِنْ أَكَابِرِ القَوْمِ الَّذِينَ اشْتَغَلُوا بِعِلْمِ الكَلَامِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَسْتَقِرَّ عَلَى هَذَا الضَّلَالِ، وَيَعْتَرِفُ فِي آخِرِ أَيَّامِهِ بِخَطَئِهِ فَيَقُولُ: «لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الكَلَامِيَّةَ، وَالمَنَاهِجَ الفَلْسَفِيَّةَ،

---

(١) الطَّرْفُ -بِالفَتحِ-: العَيْن.

(٢) المَعَالِم: جَمعُ مَعْلَمٍ، وَهُوَ الأَثَرُ يُستَدَلُّ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ.

(٣) «شرح الطحاوية» (١/ ٢٤٤).

(٤) «شرح حديث النزول» لابنِ تَيميَّةَ (ص٧٦).

وَرَأَيتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةُ القُرْآنِ، وَمَنْ جَرَّبَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مَعْرِفَتِي»[١].

هَلْ كَانَ سَعِيدُ حَوَّى رَحِمَهُ اللَّهُ صُوفِيًّا؟

أَيْ أَخِي، إِنَّ مَا يَكْتُبُهُ المَرْءُ شَاهِدُ عَدْلٍ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ، وَسَوْفَ أَنْقُلُ لَكَ كَلَامَ سَعِيدِ حَوَّى رَحِمَهُ اللَّهُ صوفيًّا بِأَمَانَةٍ وَدِقَّةٍ، مِنْ أَوْثَقِ كُتُبِهِ، وَأَتْرُكُ لَكَ الحُكْمَ.

قَالَ سَعِيدُ حَوَّى رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَقَدْ تَتَلْمَذْتُ فِي بَابِ التَّصَوُّفِ عَلَى مَنْ أَظُنُّهُمْ أَكْبَرَ عُلَمَاءِ التَّصَوُّفِ فِي عَصْرِنَا، وَأَكْثَرَ النَّاسِ تَحْقِيقًا بِهِ، وَأَذِنَ لِي بَعْضُ شُيُوخِ الصُّوفِيَّةِ بِالتَّرْبِيَةِ، وَتَسْلِيكِ المُرِيدِينَ»[٢].

وَأَضَافَ قَائِلًا: «وَإِنِّي -بِفَضْلِ اللهِ- مَعَ أَنِّي مَأْذُونٌ عَلَى طَرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ بِتَلْقِينِ الأَوْرَادِ عَامَّةً بِتَلْقِينِ الاسْمِ المُفْرَدِ». اهـ

وَالجَوَابُ عَلَيهِ: أَنَّ الذِّكْرَ بِالاسْمِ المُفْرَدِ (اللهُ، اللهُ)، أَوْ (هُوْ، هُوْ) مُبْتَدَعٌ؛ لَمْ يَرِدْ فِي أَذْكَارِ السُّنَّةِ الثَّابِتَةِ، الَّتِي تَوَلَّتْ شَرْحَ كَيْفِيَّةِ الذِّكْرِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ المَشْرُوعَ فِي ذِكْرِ اللهِ هُوَ ذِكْرُهُ بِجُمْلَةٍ تَامَّةٍ، وَهُوَ المُسَمَّى بِالكَلَامِ، وَالوَاحِدُ مِنْهُ بِالكَلِمَةِ، وَهُوَ الَّذِي يَنْفَعُ القُلُوبَ، وَيَحْصُلُ بِهِ الثَّوابُ وَالأَجْرُ، وَيَجْذِبُ القُلُوبَ إِلَى اللهِ

---

(١) المرجع السابق.

(٢) «تربيتنا الروحية» (ص١٦).

وَمَعْرِفَتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ وخَشْيَتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المَطَالِبِ العَالِيَةِ، وَالمَقَاصِدِ السَّامِيَةِ. وَأَمَّا الاقْتِصَارُ عَلَى الاسْمِ المُفْرَدِ -مُظْهَرًا أَوْ مُضْمَرًا- فَلَا أَصْلَ لَهُ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذِكْرِ الخَاصَّةِ وَالعَارِفِينَ، بَلْ هُوَ وَسِيلَةٌ إِلَى أَنْوَاعٍ مِنَ البِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ، وَذَرِيعَةٌ إِلَى تَصَوُّرَاتٍ وَأَحْوَالٍ فَاسِدَةٍ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الإِلْحَادِ، وَأَهْلِ الاتِّحَادِ»[1]. اهـ.

قَالَ سَعِيدُ حَوَّى رَحِمَهُ اللهُ[2]: «وَالرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي مَرَّتْ مَعَنَا

---

(١) «العبودية» لابن تيمية (ص٥٨).

(٢) تَجِدُنِي -أَخِي الحَبِيبُ- قَدْ أَعْطَيْتُ سَعِيدَ حَوَّى رَحِمَهُ اللهُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لأَنَّ أَهَمَّ كُتُبِهِ مُعْتَمَدَةٌ لَدَى (الإِخْوَانِ) وَيَنْصَحُونَ بِهَا، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُقَرَّرٌ عَلَيهِمْ: كـ«المَدْخَلِ إِلَى دَعْوَةِ الإِخْوَانِ»، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي بَعْضِ الجَامِعَاتِ: كَجَامِعَةِ الإِيمَانِ بِاليَمَنِ: كـ«المُسْتَخْلَصِ فِي تَزْكِيَةِ الأَنْفُسِ».

قَدْ جَعَلَ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ هَذَا التَّصَوُّفَ وَاجِبًا عَلَى المُسْلِمِينَ، فَقَدْ قَالَ فِي (ص٩) مِنْ نَفْسِ الكِتَابِ (أَيِ: «المُسْتَخْلَصِ»): «وَلَقَدْ حَاوَلْنَا فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ أَنْ نُقَدِّمَ نَوعًا مِنَ التَّصَوُّفِ المُحَرَّرِ عَلَى أُصُولِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَذَاهِبِ أَهْلِ الحَقِّ؛ لإِيمَانِنَا أَنَّ هَذَا -وَحْدَهُ- هُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ، وَأَنْ يَصِيرَ إِلَيهِ النَّاسُ جَمِيعًا». اهـ.

وَلَا أُنْكِرُ أَنَّ فِي جَامِعَةِ الإِيمَانِ الكُتُبَ النَّافِعَةَ: كـ«صَحِيحِ مُسْلِمٍ» وَ«تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ»، لَكِنَّ فِيهَا الكُتُبَ الضَّارَّةَ الَّتِي تَدْعُو إِلَى مَنْهَجِ الإِخْوَانِ، مِثْلَ كِتَابِ: «حَاضِرُ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ» وَ«المُسْتَخْلَصِ لِتَزْكِيَةِ الأَنْفُسِ».

تَنْبِيهٌ: جَامِعَةُ الإِيمَانِ اعْتَمَدَتْ كِتَابَ «حَاضِرُ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ» بَعْدَ المُرَاجَعَةِ وَالحَذْفِ كَمَا فِي المُقَدِّمَةِ، لَكِنَّهَا -لِلأَسَفِ- عَمِلَتْ عَلَى تَكْثِيفِ المَوَادِّ الَّتِي تَخْدُمُ مَنْهَجَ (الإِخْوَانِ) عَلَى حِسَابِ المَوَادِّ الشَّرْعِيَّةِ، حَتَّى أَصْبَحَتْ هَذِهِ المَوَادُّ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ مَوَادِّ المَنْهَجِ المُقَرَّرِ فِي الجَامِعَةِ، مِثْلَ: كِتَابِ «مَبَادِئُ العُلُومِ السِّيَاسِيَّةِ».=

تَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِكْرَةَ التَّوَسُّلِ إِلَى اللهِ بِرَسُولِهِ ﷺ، كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي جِيلِ الصَّحَابَةِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[1].

قُلْتُ: هَذِهِ الرِّوَايَةُ الَّتِي زَعَمَ أَنَّهَا صَحِيحَةٌ هِيَ حَادِثَةُ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ فِي زَمَنِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ، حَيْثُ عَلَّمَ إِنْسَانًا أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى اللهِ بِرَسُولِ اللهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ، قَالَ بَعْدَ أَنْ أَوْرَدَ هَذِهِ الحَادِثَةَ: «وَقَدْ رَأَيْنَا قَوْلَ الطَّبَرَانِيِّ أَنَّ الحَدِيثَ صَحِيحٌ، وَهُوَ حُجَّةٌ فِي بَابِ جَوَازِ التَّوَسُّلِ إِلَى اللهِ بِرُسُلِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ»[2]. اهـ.

وَالجَوَابُ عَلَيهِ: أَنَّ هَذِهِ القِصَّةَ ضَعِيفَةٌ، بَلْ مُنْكَرَةٌ، قَالَ العَلَّامَةُ الأَلْبَانِيُّ رحمه الله بَعْدَ كَلَامٍ لَهُ سَبَقَ: «وَخُلَاصَةُ القَوْلِ: أَنَّ هَذِهِ القِصَّةَ ضَعِيفَةٌ مُنْكَرَةٌ؛ لأُمُورٍ ثَلَاثَةٍ:

١- ضَعْفُ حِفْظِ المُتَفَرِّدِ بِهَا.

٢- الاخْتِلَافُ عَلَيهِ فِيهَا.

٣- وَمُخَالَفَتُهُ لِلثِّقَاتِ الَّذِينَ لَمْ يَذْكُرُوهَا فِي الحَدِيثِ.

= وَمُخَالَفَتُهُ لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، فَعَلَى سَبِيلِ المِثَالِ: مَا يَمَسُّ تَوحِيدَ اللهِ مَا ذَكَرَهُ مُؤَلِّفُو الكِتَابِ فِي (ص٨١): «السِّيَاسَةُ الشَّرْعِيَّةُ تَعْنِي: أَنَّ الشَّعْبَ هُوَ صَاحِبُ السُّلْطَةِ وَمَصْدَرُهَا». اهـ. وَهَذَا خَطَأٌ، وَالصَّوَابُ أَنَّ الحُكْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا للهِ؛ لِقَولِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف:٤٠] وَلِفَضِيلَةِ شَيخِنَا مُحَمَّدٍ الإِمَام «البَيَانُ لِمَا عَلَيهِ جَامِعَةُ الإِيمَانِ»، لَا يَسَعُ مُنْصِفًا رَدُّهُ وَلَا مُبْطِلًا نَقْضُهُ، فَرَاجِعْهُ إِنْ شِئْتَ.

(١) «تربيتنا الروحية» (ص١٠١-١٠٧). (٢) المرجع السابق.

وَأَمْرٌ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ كَافٍ لِإسْقَاطِ هَذِهِ القِصَّة، فَكَيفَ بِهَا مُجْتَمِعَة؟!»[١].

٤) عُمَرُ التِّلْمِسَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

التِّلْمِسَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ هُوَ الْمُرْشِدُ العَامُّ الثَّالِثُ لـ(الإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ)، وَهُوَ لَا يَخْتَلِفُ عَنْ سَابِقِيهِ؛ فَلَهُ طَوَامٌّ فِي العَقِيدَةِ، وَاجْتِهَادَاتٌ شَاذَّةٌ، وَإِلَيْكَ الأَدِلَّةَ:

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ البَعْضُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِذَا جَاءُوهُ حَيًّا فَقَطْ، وَلَمْ أَتَبَيَّن سَبَبَ هَذَا التَّقْيِيدِ فِي الآيَةِ عِنْدَ الاسْتِغْفَارِ بِحَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَيس فِي الآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا التَّقْيِيدِ»[٢].

وَقَالَ -أَيضًا-: «لِذَا أَرَانِي أَمِيلُ إِلَى الأَخْذِ بِالرَّأْيِ القَائِلِ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْتَغْفِرُ -حَيًّا وَمَيِّتًا- لِمَنْ جَاءَهُ قَاصِدًا رِحَابَهُ الكَرِيم»[٣].

وَقَالَ -أَيضًا-: «فَمَا لَنَا وَلِلْحَمْلَةِ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللهِ وَزُوَّارِهِمْ، وَالدَّاعِينَ عِنْدَ قُبُورِهِمْ؟!»[٤]. اهـ.

فَانْظُرْ -أَخِي- هَلْ بَقِيَ شِرْكٌ مِنْ شِرْكِ القُبُورِ لَمْ يُبِحْهُ الْمُرْشِدُ

---

(١) «التوسل» للألباني (ص٨٨).

(٢) «شهيد المحراب» لعمر التلمساني (ص٢٢٥-٢٢).

(٣) المرجع السابق. (٤) المرجع السابق (ص٢٣١).

العُامُّ رَحِمَهُ اللهُ، وَغَفَرَ لَهُ فِي هَذِهِ العِبَارَةِ؟!

وَلَكِنْ هَكَذَا حَالُ (الإِخْوَانِ) -غَفَرَ اللهُ لَهُمْ-: اسْتِبْعَادُ العَنَاصِرِ المَعْرُوفَةِ بِالعِلْمِ مِنْ قِيَادَةِ الحَرَكَةِ، وَإِنْ وُجِدَ فِي صُفُوفِهِمْ رَجُلٌ مَعْرُوفٌ بِالعِلْمِ، فَهُوَ بَيْنَ حَالَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَلْبِسُوا عَلَيهِ وَيُغْرِقُوهُ بِالدُّنْيَا، فَيَسْكُتُ عَنْ أَخْطَائِهِمْ، بَلْ وَيَلْتَمِسُ المَعَاذِيرَ وَالمُبَرِّرَاتِ لأَغْلَاطِهِمْ، أَوْ أَنْ يَعْتَرِضَ فَيَنْطَرِدَ؛ لِذَا فَأَنَا أَتَحَدَّى مَنْ يُثْبِتُ أَنَّ فِي صُفُوفِ (الإِخْوَانِ) عَالِمًا يَمْلِكُ الشَّجَاعَةَ الأَدَبِيَّةَ، فَيَذْكُرُ مَا لَهُمْ، وَمَا عَلَيْهِمْ!!

وَأَعُودُ لِمَا سَبَقَ، قَالَ التِّلْمِسَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «تَعَلَّمْتُ الرَّقْصَ الإِفْرَنْجِيَّ فِي صَالَاتِ عِمَادِ الدِّينِ، وَكَانَ تَعْلِيمُ الرَّقْصَةِ الوَاحِدَةِ فِي مُقَابِلِ ثَلَاثَةِ جُنَيهَاتٍ، فَتَعَلَّمْتُ الدِّن سِيت، وَالفُوكْس تُرُوت، وَالشَّارِلِسْتُون، وَالتَّانجُو، وَتَعَلَّمْتُ العَزْفَ عَلَى العُودِ»[1]. اهـ.

وَقَدْ تَظُنُّ -أَخِي- أَنَّ هَذَا كَانَ فِي أَوَّلِ حَيَاتِهِ، ثُمَّ تَابَ مِنْهُ، وَلَكِنَّ التِّلْمِسَانِيَّ يُجِيبُ عَلَيكَ قَائِلًا: «إِنَّ فِي حَيَاتِي بَعْضَ مَا لَا يُرْضِي المُتَشَدِّدِينَ مِنَ (الإِخْوَانِ) أَوْ غَيرِهِمْ: كَالرَّقْصِ الإِفْرَنْجِي، وَالمُوسِيقَى، وَحُبِّي لِلانْطِلَاقِ فِي حَيَاتِي بَعِيدًا عَنْ قُيُودِ التَّزَمُّتِ، الَّذِي لَمْ يَأْمُرْ بِهِ دِينٌ مِنَ الأَدْيَانِ، خَاصَّةً إِسْلَامُنَا الَّذِي وَصَفَهُ نَبِيُّنَا بِمَا مَعْنَاهُ: أَنَّهُ

(١) «ذكريات لا مذكّرات» للتلمساني (ص٨).

سَمْحٌ لَنْ يُشَادَّهُ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»[١]. اهـ.

وَقَالَ -أَيْضًا- فِي ذِكْرِ مُحَادَثَةٍ لَهُ مَعَ أَحَدِ أَصْدِقَائِهِ فِي الْمُسْتَشْفَى، قَالَ فِيهَا: «وَجَرَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ، وَكَانَ يَأْنَسُ إِلَيَّ، فَعَلِمَ أَنَّ أُغْنِيَةً مِنْ أَغَانِيهَا فِي مَدْحِ الرَّسُولِ ﷺ تَرُوقُنِي، وَأُحِبُّ سَمَاعَهَا، وَأَوَيتُ إِلَى فِرَاشِي فِي مُسْتَشْفَى السِّجْنِ، وَكَانَ هُوَ فِي الْمُسْتَشْفَى، وَبَيْنَمَا كُنْتُ مُسْتَغْرِقًا فِي نَوْمِي، خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّنِي أَسْمَعُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ أُمِّ كُلْثُومٍ، وَأَخَذْتُ أَتَبَيَّنُ شَيْئًا فَشَيْئًا، فَإِذَا بِي أَرَى رَادِيُو ترانزستور عَلَى الْمِخَدَّةِ إِلَى جَانِبِي، وَأُمُّ كُلْثُومٍ تَشْدُو بِهَذِهِ الْأُغْنِيَةِ»[٢].

وَقَالَ -أَيْضًا-: تَحْتَ عُنْوَانِ (صَلَّيْتُ فِي السِّينَمَا): «إِنَّنِي لَمَّا كُنْتُ أُبَاشِرُ عَمَلِي كَمُحَامٍ، وَأَنْزِلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَحْضُرَ بَعْضَ الْأَفْلَامِ السِّينَمَائِيَّةِ، وَكُنْتُ أَنْتَهِزُ فُرْصَةَ الاسْتِرَاحَةِ (الأنتراكت) لِأُصَلِّيَ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ مَجْمُوعَتَيْنِ مَقْصُورَتَيْنِ، فِي أَحَدِ أَرْكَانِ السِّينَمَا الَّتِي أَكُونُ فِيهَا»[٣].

وَأَخِيرًا: قَالَ التِّلْمِسَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ نَفْسِهِ: «وَلَئِنْ سَأَلُونِي عَنِ الْهَوَى، فَأَنَا الْهَوَى، وَابْنُ الْهَوَى، وَأَبُوالْهَوَى، وَأَخُوهُ»[٤].

قُلْتُ: رَوَى اللَّالَكَائِيُّ فِي «شرح السنة» عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي جَعَلَ

---

(١) المرجع السابق (ص٣).
(٢) المرجع السابق (ص١٤٤).
(٣) المرجع السابق (ص١٢).
(٤) المرجع السابق (ص٢٦٣).

هَوَانَا عَلَى هَوَاكُمْ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «كُلُّ هَوًى ضَلَالَةٌ».

يُوسُفُ القَرْضَاوِيُّ:

القَرْضَاوِيُّ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ- أَحَدُ أَعْمِدَةِ جَمَاعَةِ (الإِخْوَانِ)، دَرَسَ العَقِيدَةَ عَلَى المُعْتَقَدِ الأَشْعَرِيِّ، -كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ-[1] وَقَدْ تَرَكَتْ تِلْكَ العَقِيدَةُ أَثَرَهَا فِي نَفْسِهِ، فَهَاهُوَ يُنْكِرُ رُؤْيَةَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي الآخِرَةِ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَيُثْبِتُهَا عَلَى طَرِيقَةِ الأَشَاعِرَةِ المُبْتَدِعَةِ[2]، وَاللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- يَقُولُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢-٢٣].

تَأَثَّرَ بِالمَدْرَسَةِ العَقْلَانِيَّةِ، فَتَرَكَتْ بَصَمَاتِهَا؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فَهُوَ يَرُدُّ بَعْضَ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ؛ بِحُجَّةِ مُخَالَفَتِهَا لِظَاهِرِ القُرْآنِ أَوْ عَقْلِ الإِنْسَانِ[3] وَاللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَقُولُ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر:٧].

(أ) الوَلَاءُ وَالبَرَاءُ عِنْدَ القَرْضَاوِيِّ:

لَقَدْ أَمَاتَ القَرْضَاوِيُّ -غَفَرَ اللهُ لَهُ- عَقِيدَةَ الوَلَاءِ وَالبَرَاءِ مَعَ الكُفَّارِ وَإِلَيْكَ الأَدِلَّةَ:

---

(١) «رسالة الأزهر» للقرضاوي (ص١٠٥).

(٢) «المرجعية العليا في الإسلام» للقرضاوي (ص٣٤٨).

(٣) «كَيْفَ نَتَعَامَلُ مَعَ السُّنَّةِ» لِلْقَرْضَاوِيِّ (ص٩٧-٩٨) حَيْثُ تَوَقَّفَ فِي قَبُولِ حَدِيثِ «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ». الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ.

قَالَ القَرْضَاوِيُّ: "أَنَا أَقُولُ: إِخْوَانُنَا المَسِيحِيُّونَ[(١)]، البَعْضُ يُنْكِرُ عَلَيَّ هَذَا، كَيْفَ أَقُولُ (إِخْوَانُنَا)؟! ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، نَعَمْ، نَحْنُ مُؤْمِنُونَ، وَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِوَجْهٍ آخَرَ"[(٢)].

---

(١) هَذَا لَيْسَ بِغَرِيبٍ عَلَى القَرْضَاوِي -غَفَرَ اللهُ لَهُ- فَهَا هُوَ يَقُولُ -كَمَا فِي بَرْنَامَجِ الشَّرِيْعَة وَالحَيَاة-: (جَرَتْ عَادَاتُنَا فِي هَذَا البَرْنَامَجِ أَنْ نَتَحَدَّثَ عَنْ أَعْلَامِ العُلَمَاءِ مِنَ المُسْلِمِينَ... وَنَحْنُ اليَوْمَ، عَلَى غَيْرِ هَذِهِ العَادَةِ، نَتَحَدَّثُ عَنْ عَلَمٍ، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْ أَعْلَامِ المُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّهُ عَلَمُ أَعْلَامِ المَسِيْحِيَّةِ، وَهُوَ الحَبْرُ الأَعْظَمُ البَابَا يُوحَنَّا... وَمَنْ حَقِّنَا -أَوْ مِنْ وَاجِبِنَا- أَنْ نُقَدِّمَ العَزَاءَ إِلَى الأُمَّةِ المَسِيْحِيَّةِ، وَإِلَى أَحْبَارِ المَسِيحِيَّةِ فِي الفَاتِيكَانِ وَغَيْرِ الفَاتِيكَانِ مِنْ أَنْحَاءِ العَالَمِ، وَبَعْضُهُمْ أَصْدِقَاءُ لَنَا، لَاقَيْنَاهُمْ فِي أَكْثَرَ مِنْ مُؤْتَمَرٍ، وَأَكْثَرَ مِنْ نَدْوَةٍ، وَأَكْثَرَ مِنْ حِوَارٍ، نُقَدِّمُ لَهُمُ العَزَاءَ فِي وَفَاةِ هَذَا الحَبْرِ الأَعْظَمِ...، نُقَدِّمُ عَزَاءَنَا فِي هَذَا البَابَا الَّذِي كَانَ لَهُ مَوَاقِفُ تُذْكَرُ وَتُشْكَرُ لَهُ، رُبَّمَا بَعْضُ المُسْلِمِينَ يَقُولُ: إِنَّهُ لَمْ يَعْتَذِرْ عَنِ الحُرُوبِ الصَّلِيْبِيَّةِ، وَبَعْضُهُمْ يَأْخُذُ عَلَيْهِ بَعْضَ الأَشْيَاءِ، وَلَكِنْ مَوَاقِفُ الرَّجُلِ العَامَّةُ، وَإِخْلَاصُهُ فِي نَشْرِ دِيْنِهِ!! وَنَشَاطُهُ، حَتَّى رَغْمَ شَيْخُوخَتِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ، فَقَدْ طَافَ العَالَمَ كُلَّهُ، وَزَارَ بِلَادًا، وَمِنْهَا بِلَادُ المُسْلِمِينَ نَفْسُهَا، فَكَانَ مُخْلِصًا لِدِيْنِهِ!! وَنَاشِطًا مِنْ أَعْظَمِ النُّشَطَاءِ فِي نَشْرِ دَعْوَتِهِ! وَالإِيْمَانِ بِرِسَالَتِهِ! وَكَانَ لَهُ مَوَاقِفُ سِيَاسِيَّةٌ، يَعْنِي: تُسَجَّلُ لَهُ فِي حَسَنَاتِهِ!! ... فَكَانَ الرَّجُلُ رَجُلَ سَلَامٍ، وَدَاعِيَةَ سَلَامٍ، لَا نَسْتَطِيْعُ إِلَّا أَنْ نَدْعُو اللهَ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ وَيُثِيْبَهُ!!! بِقَدْرِ مَا قَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ لِلإِنْسَانِيَّةِ، وَمَا خَلَّفَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، أَوْ أَثَرٍ طَيِّبٍ، وَنُقَدِّمُ عَزَاءَنَا لِلمَسِيْحِيِّينَ فِي أَنْحَاءِ العَالَمِ، وَلِأَصْدِقَائِنَا فِي رُومَا، وَأَصْدِقَائِنَا فِي جَمْعِيَّةِ سانت سيديو فِي رُومَا، وَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعَوِّضَ الأُمَّةَ المَسِيحِيَّةَ فِيهِ خَيْرًا!!. اهـ بِنَصِّهِ مِنْ مَوْقِعِ القَرْضَاوِي عَلَى الشَّبَكَةِ.

(٢) "برنامج الشريعة والحياة" (١٢/ ١٠/ ٩٧م) وَنُقِلَ بِنَصِّهِ مِنْ مَوْقِعِ القَرْضَاوِي عَلَى الشَّبَكَةِ.

وَيَقُولُ: "إِنَّ بَعْضَ مَا نَرَاهُ مِنَ التَّعَصُّبِ لَدَى بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ قَدْ يَكُونُ رَدَّ فِعْلٍ لِتَعَصُّبٍ آخَرَ مِنْ إِخْوَانِهِمْ وَمُوَاطِنِيهِمْ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ"[1].

وَالجَوَابُ عَلَيهِ: سُئِلَ العَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: عَنْ قَوْلِ (يَا أَخِي) لِغَيْرِ الْمُسْلِمِ؟

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَمَّا قَوْلُ: (يَا أَخِي) لِغَيرِ الْمُسْلِمِ، فَهَذَا حَرَامٌ، وَلَا يَجُوزُ، إِلَّا أُخُوَّةُ الدِّينِ، وَالكَافِرُ لَيسَ أَخًا لِلمُسْلِمِ فِي دِينِهِ"[2]. اهـ.

وَهَاهُوَ القَرْضَاوِيُّ -هَدَاهُ اللهُ- يَرَى أَنَّ حَرْبَنَا مَعَ اليَهُودِ لَيْسَتْ مِنْ أَجْلِ العَقِيدَةِ!

قَالَ -غَفَرَ اللهُ لَهُ-: "جِهَادُنَا مَعَ اليَهُودِ لَيسَ لِأَنَّهُمْ يَهُودُ، وَلَا نَرَى هَذَا، نَحْنُ لَا نُقَاتِلُ اليَهُودَ مِنْ أَجْلِ العَقِيدَةِ؛ إِنَّمَا نُقَاتِلُهُمْ مِنْ أَجْلِ الأَرْضِ، وَلَا نُقَاتِلُ الكُفَّارَ لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ؛ وَإِنَّمَا لِأَنَّهُمُ اغْتَصَبُوا أَرْضَنَا وَدِيَارَنَا، وَأَخَذُوهَا بِغَيرِ حَقٍّ"[3]. اهـ.

فَهُوَ -غَفَرَ اللهُ لَهُ- يَرَى أَنَّ قِتَالَ اليَهُودِ هُوَ لِأَجْلِ قِطْعَةِ أَرْضٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهَا، فَقَدْ كَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ القِتَالَ، وَاللهُ رَبُّنَا يَقُولُ لَنَا

---

(١) "فتاوى معاصرة" للقرضاوي (٢/ ٦٦٨).

(٢) فتاوى نور على الدرب (١/ ٣٩٧).

(٣) مجلة الراية، عدد (٤٦٩٦) الصادرة بتاريخ: ٢٤ شعبان ١٤١٥هـ، الموافق: ٢٥ يناير ١٩٩٥م.

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[التوبة: ٢٩].

(ب) القَرْضَاوِيُّ يَدْعُو الغَرْبَ إِلَى الاعْتِرَافِ بِالإِسْلَامِ

وَقَالَ القَرْضَاوِيُّ: «أَوَّلًا نُرِيدُ مِنَ الغَرْبِ -قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ- أَنْ يَعْتَرِفَ بِحَقِّ الإِسْلَامِ فِي الوُجُودِ، وَبِحَقِّ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعِيشُوا بِإِسْلَامِهِمْ»[١].

وَهَذَا خَطَأٌ مِنْهُ -غَفَرَ اللهُ لَهُ-؛ فَدِينٌ تَكَفَّلَ اللهُ بِحِفْظِهِ، وَرَضِيَهُ لِعِبَادِهِ، نَرْضَى بِهِ، وَنَعْتَزُّ بِهِ، فَلَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نُعَرِّضَ دِينَنَا وَأَنْفُسَنَا لِلذُّلِّ؛ فَإِنَّ عَدَمَ الرِّضَا لَنْ يَزُولَ إِلَّا بِاتِّبَاعِ مِلَّتِهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[البقرة:١٢٠].

(ج) القَرْضَاوِيُّ يُحَيِّي إِسْرَائِيلَ!!

قَالَ القَرْضَاوِيُّ فِي خُطْبَةِ جُمُعَةٍ حَوْلَ التَّدْخِينِ، وَفِي الخُطْبَةِ الثَّانِيَةِ: «أَيُّهَا الإِخْوَةُ، قَبْلَ أَنْ أَدَعَ مَقَامِي هَذَا، أَقُولُ كَلِمَةً عَنْ نَتَائِجِ الانْتِخَابَاتِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ: العَرَبُ كَانُوا مُعَلِّقِينَ كُلَّ آمَالِهِمْ عَلَى نَجَاحِ (بيريز)، وَقَدْ سَقَطَ (بيريز)، وَهَذَا مِمَّا نَحْمَدُ لِإِسْرَائِيلَ، نَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ بِلَادُنَا مِثْلَ هَذِهِ البِلَادِ؛ مِنْ أَجْلِ مَجْمُوعَةٍ قَلِيلَةٍ يَسْقُطُ وَاحِدٌ،

(١) «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي» للقرضاوي (ص٧٢).

وَالشَّعْبُ هُوَ الَّذِي يَحْكُمُ، لَيْسَ هُنَاكَ التِّسْعَاتُ الأَرْبَعُ، أَوِ التِّسْعَاتُ الخَمْسُ النِّسَب، الَّتِي تَعْرِفُهَا فِي بِلَادِنَا ٩٩. ٩٩%، مَا هَذَا؟! إِنَّمَا الكَذِبُ وَالغِشُّ وَالخِدَاعُ، لَوْ أَنَّ اللهَ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ مَا أَخَذَ هَذِهِ النِّسْبَةَ!!، نُحَيِّي إِسْرَائِيلَ عَلَى مَا فَعَلَتْ!»[1].

وَالجَوَابُ عَلَيْهِ: سُئِلَ فَضِيلَةُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بنُ صَالِحٍ العُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ عَنْ قَوْلِ القَرْضَاوِيِّ: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ...» إلخ.

فَأَجَابَ فِي شَرِيطٍ لَهُ مُسَجَّلٍ بِقَوْلِهِ: «نَعُوذُ بِاللهِ!، هَذَا يَجِبُ عَلَيهِ أَنْ يَتُوبَ، وَإِلَّا فَهُوَ مُرْتَدٌّ؛ لأَنَّهُ جَعَلَ المَخْلُوقَ أَعْلَى مِنَ الخَالِقِ؛ فَعَلَيهِ أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللهِ، فَإِنْ تَابَ فَاللهُ يَقْبَلُ عَنْهُ ذَلِكَ، وَإِلَّا وَجَبَ عَلَى حُكَّامِ المُسْلِمِينَ أَنْ يَضْرِبُوا عُنُقَهُ». اهـ.

(د) مَنْهَجُ القَرْضَاوِيِّ فِي الفَتَاوَى:

وَمَنْهَجُ القَرْضَاوِيِّ فِي الفَتَاوَى فَيُلَخِّصُهُ بِقَوْلِهِ: «إِنَّنَا أَحْوَجُ مَا نَكُونُ إِلَى التَّوْسِعَةِ عَلَى النَّاسِ، وَهَذَا مَا اخْتَرْتُهُ لِنَفْسِي»[2].

وَسَوْفَ أَذْكُرُ لَكَ -أَخِي- طَرَفًا مِنْ هَذِهِ التَّوْسِعَةِ؛ لِتَعْلَمَ أَنَّ

---

(١) الشَّرِيطُ مُسَجَّلٌ بِعُنْوَانِ التَّدْخِينِ، وَقَدْ نَشَرَ كَلَامَهُ بِمَجَلَّةِ الوَطَنِ الكُوَيْتِيَّةِ فِي عَدَدِهَا (٧٠٧٢).

(٢) «الفتاوى بين الانضباط والتسيب» للقرضاوي (ص١١٣).

القَرْضَاوِيِّ -هَدَاهُ اللهُ- مِمَّنْ لَا يُعْتَدُّ بِفَتْوَاهُمْ، ولا يُأخَذُ بِأَقْوَالِهِمْ، فَعَلَى جَادَّةِ المِثَالِ لَا الحَصْرِ:

(١) الدِّفَاعُ عَنِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ:

وَإِلَيْكَ الأَدِلَّةَ: قَالَ هَدَاهُ اللهُ: "أَنَا مِنَ المُطَالِبِينَ بِالدِّيمُقْرَاطِيَّةِ بِوَصْفِهَا الوَسِيلَةَ المَيْسُورَةَ وَالمُنْضَبِطَةَ؛ لِتَحْقِيقِ هَدَفِنَا فِي الحَيَاةِ الكَرِيمَةِ"[١].

وَقَالَ -أيضًا-: "إِنَّ جَوْهَرَ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ: أَنْ يُخْتَارَ لِلنَّاسِ مَنْ يَحْكُمُهُمْ وَيَسُوسُ أَمْرَهُمْ، وَأَلَّا يُفْرَضَ عَلَيْهِمْ رَأْيٌ يَكْرَهُونَهُ"[٢].

ثُمَّ يُضِيفُ قَائِلًا: "الوَاقِعُ إِنَّ الَّذِي يَتَأَمَّلُ جَوْهَرَ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ يَجِدُ أَنَّهُ مِنْ صَمِيمِ الإِسْلَامِ"[٣].

وَهَذَا القَوْلُ بِمَنْأَى عَنِ الصَّوَابِ، فَمَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ هُوَ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ، وَإِنَّمَا الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ هِيَ -فِي جَوْهَرِهَا-: رَفْضُ الثِّيُوقْرَاطِيَّةِ- أَيْ: سُلْطَةِ الدِّينِ، وَالحُكْمِ بِاسْمِ اللهِ فِي الأَرْضِ- فَهِيَ الوَجْهُ الآخَرِ لِلعَلْمَانِيَّةِ[٤].

وَمَا دَامَ الشَّيْخُ يُؤْمِنُ بِالدِّيمُقْرَاطِيَّةِ، فَهُوَ -لَا شَكَّ- يُؤْمِنُ بِمُلْحَقَاتِهَا، وَهِيَ قِيَامُ الأَحْزَابِ!.

---

(١) "فتاوى معاصرة" للقرضاوي (٢/ ٦٥٠).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٦٣٧). (٣) المرجع السابق (٢/ ٦٣٧).

(٤) "جهادنا الثقافي" (ص٥٤) جمال سلطان.

(٢) الشَّيْخُ القَرْضَاوِيُّ يُؤْمِنُ بِقِيَامِ الأَحْزَابِ:

يَقُولُ هَدَاهُ اللهُ: «رَأْيِي الَّذِي أُعْلِنُهُ مِنْ سِنِينَ فِي مُحَاضَرَاتٍ عَامَّةٍ، وَلِقَاءَاتٍ خَاصَّةٍ: أَنَّهُ لَا يُوجَدُ مَانِعٌ شَرْعِيٌّ مِنْ وُجُودِ أَكْثَرَ مِنْ حِزْبٍ سِيَاسِيٍّ دَاخِلَ الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ؛ إِذِ المَنْعُ الشَّرْعِيُّ يَحْتَاجُ إِلَى نَصٍّ، وَلَا نَصَّ»[1]. اهـ.

قُلْتُ: هَذِهِ الأَحْزَابُ -الَّتِي يُطَالِبُ الشَّيْخُ بِقِيَامِهَا- عَامِلٌ مُهِمٌّ فِي تَفْرِيقِ الأُمَّةِ، وَاللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَقُولُ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾ [الأنفال:٤٦] وَيَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

(٣) الشَّيْخُ القَرْضَاوِيُّ يُؤَيِّدُ الاخْتِلَاطَ:

قَالَ غَفَرَ اللهُ لَهُ: «دَخَلَتْ مُعْجَمَنَا الحَدِيثَ كَلِمَاتٌ أَصْبَحَ لَهَا دَلَالَاتٌ لَمْ تَكُنْ لَهَا مِنْ قَبْلُ، مِنْ ذَلِكَ كَلِمَةُ **(الاختلاط)** بَيْنَ الرَّجُلِ وَالمَرْأَةِ»[2].

ثُمَّ قَالَ: «وَالخُلَاصَةُ: أَنَّ اللِّقَاءَ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِي ذَاتِهِ لَيْسَ مُحَرَّمًا، بَلْ هُوَ جَائِزٌ أَوْ مَطْلُوبٌ، إِذَا كَانَ القَصْدُ مِنْهُ المُشَارَكَةَ فِي هَدَفٍ نَبِيلٍ: مِنْ عِلْمٍ نَافِعٍ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ، أَوْ مَشْرُوعٍ خَيِّرٍ، أَوْ

---

(١) «فتاوى معاصرة» (٢/ ٦٥٢).

(٢) «ملامح المجتمع المسلم» للقرضاوي (ص٣٦٨).

جِهَادٍ لازِمٍ، أَوْ غَيرِ ذَلِكَ»[١].

وَقَالَ -أَيضًا-: «أَوَدُّ أَنْ أَقُولَ هُنَا -بِصَرَاحَةٍ-: إِنَّ العَمَلَ الإِسْلَامِيَّ قَدْ تَسَرَّبَتْ إِلَيهِ أَفْكَارٌ مُتَشَدِّدَةٌ، غَدَتْ هِيَ الَّتِي تَحْكُمُ العَلَاقَةَ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَتَأْخُذُ بِأَشَدِّ الأَقْوَالِ تَضْيِيقًا فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ»[٢].

(٤) القَرْضَاوِيُّ يُجِيزُ تَمْثِيلَ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ:

قَالَ هَدَاهُ اللهُ: «إِنَّ اشْتِرَاكَ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ فِي التَّمْثِيلِ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ[٣]، لَابُدَّ مِنْهُ»[٤].

ثُمَّ ذَكَرَ شُرُوطًا لِهَذَا التَّمْثِيلِ تُثِيرُ الضَّحِكَ مِنَ العَامَّةِ فَضْلًا عَنْ أَهْلِ العِلْمِ!.

يَقُولُ القَرْضَاوِيُّ: وَلِاشْتِرَاكِ المَرْأَةِ فِي التَّمْثِيلِ عَدَدٌ مِنَ الضَّوَابِطِ، أَهَمُّهَا:

---

(١) المرجع السابق (ص٣٧٥).

(٢) «أولَويّاتُ الحركَاتِ الإسلاميَّة» للقرضاوي (ص٣٩١).

(٣) لَمْ يَقِفِ الأَمْرُ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ، بَلْ إِنَّهُ لَيُطَالِبُ المُعْتَزِلَاتِ التَّائِبَاتِ مِنْ هَذَا العَفَنِ بِالعَوْدَةِ إِلَيْهِ. انْظُرْ: «جَرِيْدَةَ اللِّوَاءِ الإِسْلَامِي» المِصْرِيَّة العدد (١١٩٨) فِيهَا: (القَرْضَاوِي يُطَالِبُ الفَنَّانَاتِ المُعْتَزِلَاتِ بِأَلَّا يَنْصَرِفْنَ عَنْ مُمَارَسَةِ الفَنِّ وَالعَمَلِ السِّينِمَائِي! وَأَلَّا يَتْرُكْنَ السَّاحَةَ السِّينِمَائِيَّةَ...!).

(٤) انظر: «مجلة المجتمع» لسان حال الإخوان العدد (١٣١٩).

١- أَنْ يَكُونَ اشْتِرَاكُهَا ضَرُورِيًّا.

٢- أَنْ تَظْهَرَ بِلِبَاسِ الإِسْلَامِ، وَلَا تُظْهِرُ المَسَاحِيقَ.

٣- أَنْ يُرَاعِي المُخرِجُ وَالمُصَوِّرُ عَدَمَ إِبْرَازِ مَفَاتِنِهَا، وَالتَّرْكِيزِ عَلَيْهَا فِي التَّصْوِيرِ.

٤- أَنْ تَتَفَوَّهَ بِالكَلَامِ الحَسَنِ، وَتَبْتَعِدَ عَنِ الفَاحِشِ[1].

(٥) القَرْضَاوِيُّ يُجِيزُ سَمَاعَ الأَغَانِي[2]:

قَالَ القَرْضَاوِيُّ هَدَاهُ اللهُ: "مِنَ اللَّهْوِ الَّذِي تَسْتَرِيحُ إِلَيهِ النُّفُوسُ

---

(١) المرجع السابق العدد (١٣١٩).

(٢) لَقَدْ جَعَلَ (الإِخْوَانُ المُسْلِمُونَ) الأَغَانِي وَالمَعَازِفَ إِسْلَامِيَّةً، وَإِلَيْكَ البَيَانَ وَهُوَ مَقَالٌ نَشَرَتْهُ مَجَلَّةُ (الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ) فِي العَدَدِ (٥) تَحْتَ عُنْوَانِ: (المُوسِيقَى الإِسْلَامِيَّة) جَاءَ فِيْهِ: (وَالسِّيمْفُونِيَّة) هِيَ أَرْقَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ عَبَاقِرَةُ المُوسِيقَى، أَمْثَالُ: (بيتهوفن) و(شورب)، و(موزار)، و(تشايكوفسكي)، وَهِيَ تَعْبِيرٌ عَنْ عَوَاطِفَ وَإِحْسَاسَاتٍ تَنْعَكِسُ مِنَ الطَّبِيْعَةِ أَو الإِنْسَانِ، وَيُجْمَعُ لَهَا أَكْبَرُ عَدَدٍ مِنَ العَازِفِيْنَ المَهَرَةِ، بِأَحْدَثِ الآلَاتِ عَلَى اخْتِلَافِهَا، حَتَّى يَكُونَ التَّعْبِيرُ أَقْرَبَ إِلَى الحَقِيقَةِ بِقَدْرِ الإِمْكَانِ.

وَقَدْ تَأَلَّفَتْ فِرَقٌ لـ(السيمفونية) المِصْرِيَّةِ، تَضُمُّ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِيْنَ عَازِفًا، سَاعَدَتْهُم جَمْعِيَّةُ (الشَّبَابِ المَسِيحِيَّةِ)! وَعَزَفَتْ فِي الجَامِعَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ!، فَمَا أَجْدَرَنَا بِهَذَا!، وَمَا أَحْوَجَنَا إِلَى دَاعِيَةٍ مِنْ نَوْعٍ جَدِيْدٍ! سَوْفَ يَكُونُ فَتْحًا فِي عَالَمِ المُوْسِيقَى، وَتَقَدُّمًا عَالَمِيًّا لَهَا، وَحِيْنَئِذٍ يَبْرُزُ لَوْنٌ فَرِيْدٌ يُسَيطِرُ عَلَى أَفْئِدَةِ العَالَمِ، هُوَ المُوسِيقَى الإِسْلَامِيَّةُ! بَدَلًا مِنَ المُوسِيقَى الشَّرْقِيَّةِ...).

قَالَ العَلَّامَةُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (قُلْتُ: فَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ الأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ اسْتِبَاحَةَ الآلَاتِ=

وَتَطْرَبُ لَهُ القُلُوبُ، وَتَنْعَمُ بِهِ الآذَانُ: الغِنَاءُ، وَقَدْ أَبَاحَهُ الإِسْلَامُ مَا لَمْ يَشْمَلْ عَلَى فُحْشٍ أَوْ خَنَا أَوْ تَحْرِيضٍ عَلَى إِثْمٍ، وَلَا بَأْسَ أَنْ تُصَاحِبَهُ المُوسِيقَى غَيْرُ المُثِيرَةِ"[(١) (٢)].

= المُوسِيقِيَّةِ قَدْ فَشَتْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، حَتَّى الَّذِينَ يُنَادُون مِنْهُمْ بِإِعَادَةِ مَجْدِ المُسْلِمِينَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا اسْتَجَازَتْ مَجَلَّتُهُمْ أَنْ تَنْشُرَ هَذَا المَقَالَ الصَّرِيحَ فِي اسْتِحْلَالِ مَا حَرَّمَ اللهُ مِنَ المُوسِيقَى، بَلْ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا، وَلَيْسَ هَذَا فَقَط، بَلْ وَسَمَّاهَا (المُوسِيقَى الإِسْلَامِيَّة) عَلَى وَزْنِ (الإِشْتِرَاكِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ) و(الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ الإِسْلَامِيَّة)، وَغَيْرِهَا مِمَّا يَصْدُقُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم:٢٣]. وَقَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «لَيَسْتَحِلَّنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الخَمْرَ بِاسْمٍ يُسَمُّونَهَا -وَفِي رِوَايَةٍ: يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا-» وَهُوَ مُخَرَّجٌ فِي "الصَّحِيحة" (ص٩٠).

انظر: "تَحْرِيمُ آلاتِ الطَّرَبِ" (١٥-١٦) لِلأَلْبَانِي.

(١) "الحلال والحرام" للقرضاوي (ص٣٩١).

(٢) أَجْرَتْ "مَجَلَّةُ الرَّايَةِ" حِوَارًا مَعَ القَرْضَاوِيِّ فِي عَدَدِهَا (٥٩٧) الصَّادِرِ فِي ٢٠ جُمَادَى الأُولَى ١٤١٩هـ، جَاءَ فِي ذَلِكَ الحِوَارِ: أَنَّ المُحَاوِرَ قَالَ فِي أَثْنَاءِ حِوَارِهِ لِلقَرْضَاوِيِّ: "وَتَنَاهَى إِلَى سَمْعِي صَوْتُ غِنَاءٍ قَادِمٍ مِنْ دَاخِلِ مَنْزِلِ الشَّيخِ القَرْضَاوِيِّ، فَضَحِكْتُ وَأَنَا أَقُولُ: لِمَنْ يَسْتَمِعُ الشَّيخُ القَرْضَاوِيُّ؟!" فَأَجَاب بِقَولِهِ: "الحَقِيقَةُ أَنَا مَشْغُولٌ عَنْ سَمَاعِ الغِنَاءِ، لَكِنِّي أَسْتَمِعُ إِلَى عَبدِالوَهَّابِ وَهُوَ يُغَنِّي: (البُلبُل)، أَوْ (يَا سَمَاء الشَّرق جُودِي بِالضِّيَاء)، أَوْ (أَخِي جَاوَزَ الظَّالِمُونَ المَدَى)، وَأَسْتَمِعُ -أَحْيانًا- إِلَى أُمّ كُلْثُوم فِي: (نَهج البُردَةِ)، أَوْ (سَلُوا لُبِّي سَلا وتابا)، وَأَستَمِعُ بِحُبٍّ وَأَتَأَثَّرُ بِشِدَّةٍ بِصَوتِ فَائِزَة أَحمَد، خَاصَّةً وَهِيَ تُغَنِّي الأُغْنِيَاتِ الخَاصَّة بِالأُسرَة: (ستّ الحبايب)، و(يا حبيبي يا خُويا ويا بُو عيالي)، و (بيت العزّ يا بيتْنا، عَلى بابك عنبتنا)، وَهَذِهِ أُغْنِيَةٌ لَطِيفَةٌ جِدًّا!!" -إِلَى أَنْ قَالَ:- "صَوْتُ فَائِزَة أَحمَد وَهِي تُغَنِّي: (ستّ الحبايب)=

وَالجَوَابُ عَلَيهِ: وَالصَّوَابُ هُوَ: تَحْرِيمُ الأَغَانِي، وَيَكْفِي طَالِبَ الحَقِّ حَدِيثٌ وَاحِدٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ**[1] **وَالحَرِيرَ وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ**»[2].

هَأَنَا -أَخِي- قَدْ مَثَّلْتُ بِهَؤُلَاءِ الخَمْسَةِ الَّذِينَ لَا يَخْتَلِفُ فِي إِمَامَتِهِمُ اثْنَانِ مِنَ (الإخوانِ)، لِتَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّةِ مَا أَقُولُ، وَلَا تَزَالُ النَّتَائِجُ مُسْتَمِرَّةً فِيمَنْ بَعدَهُمْ، وَهِيَ نَتِيجَةٌ حَتْمِيَّةٌ لِمَنهَجٍ لَا يَعْبَأُ بِمَنْهَجِ الأَنْبِيَاءِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ.

٦) غُلُوُّ الإِخْوَانِ فِي الشَّيخِ حَسَنِ البنَّا رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ عُمَرُ التِّلْمِسَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ [فِي وَصْفِ مَقْتَلِ حَسَنِ البنَّا]: "وَكَفَّ القَلْبُ المُعَلَّقُ بِالعَرْشِ عَنِ النَّبْضِ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ؛ لِيَنْبِضَ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ"[3].

= لَيسَتْ فِيهِ إِثَارَة، صَوْتُ شَادِيَة وَهِيَ تُغَنِّي: (يا دبلة الخطوبة عُقبى لنا كلنا، يا معبانِي يا غالي)، فَهَذِهِ أُغْنِيَةٌ نَسْمَعُهَا فِي الأَفْرَاحِ وَالأَعْرَاسِ. أَيضًا فيروز أُحِبُّ سَمَاعَهَا فِي أُغْنِيَةِ (القدس)، وَأُغْنِيَةِ (مكة)، لَكِنْ لَا أُتَابِعُهَا فِي الأُغْنِيَاتِ العَاطِفِيَّةِ، لَيسَ لأَنَّهَا حَرَامٌ، وَإِنَّمَا لأَنَّنِي مَشْغُولٌ!!".

(١) الحِرَ بالحَاءِ المكسُورَةِ وَالرَّاءِ الخَفِيفَةِ: هُوَ الفَرْجُ، أَيْ: يَسْتَحِلُّونَ الزِّنَا.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ مُعَلَّقًا بِصِيغَةِ الجَزْمِ (٥٥٩٠)، وَوَصَلَهُ أَبُوداود...، وَصَحَّحَهُ جَمْعٌ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ، مِنْهُمْ البُخَارِيُّ نَفْسُهُ، وَابْنُ تَيمِيَّةَ، وَابْنُ القَيِّمِ، وَابْنُ حَجَرٍ، وَالأَلْبَانِيُّ، وَالوَادِعِيُّ، وَابْنُ بَازٍ، رَحِمَهُمُ اللهُ عَنْ أَبِي عَامِرٍ أَوْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ.

(٣) "حَسَن البنَّا بأقلام تلامذته ومعاصريه" لجابر رزق (ص٤٤).

وَقَالَ سَيِّد قُطْب رَحِمَهُ اللهُ: «فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ تَبْدُو الْمُصَادَفَةُ العَابِرَةُ كَأَنَّهَا قَدَرٌ مَقْدُورٌ وَحِكْمَةٌ مُدَبَّرَةٌ فِي كِتَابٍ مَسْطُورٍ حَسَن البَنَّا»[١].

وَقَالَ أَحْمَدُ أَنَس الحَجَّاج: «إِذَا ذَكَرْتُمْ حَسَن البَنَّا فَاذْكُرُوا رَجُلًا عَاشَ مُعْجِزًا فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى أَتْعَبَ خُصُومَهُ وَصَرَعَهُمْ جَمِيعًا، وَبَقِيَ حَيًّا مَعَ الزَّمَنِ، خَالِدًا مَعَ التَّارِيخِ، مُعْجِزًا فَوْقَ قِمَّةِ الْمُعْجِزَاتِ!»[٢].

وَقَالَ كَامِل شَافِعِي -وَهُوَ أَحَدُ أَفْرَادِ الرَّعِيلِ الأَوَّلِ لِلإِخْوَانِ-: «لَقَدْ كُنْتُ أُقَبِّلُ يَدَيهِ وَأَشْعُرُ حِينَ تَقْبِيلِهَا أَنَّنِي أَعْبُدُ اللهَ!»[٣].

وَقَالَ صَالِح عَشْمَاوِي:

«قَدْ كُنْتُ أُوثِرُ أَنْ تَقُولَ رِثَائِي يَا مُنصِفَ الْمَوْتَى مِنَ الأَحْيَاءِ!»

ثُمَّ قَالَ: «رَحِمَ اللهُ حَسَن البَنَّا؛ فَقَدْ كَانَ فَلْتَةً مِنْ فَلَتَاتِ الطَّبِيعَةِ، قَلَّمَا يَجُودُ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ، وَهُوَ لَمْ يَمُتْ، بَلْ حَيٌّ عِنْدَ رَبِّهِ يُرْزَقُ»[٤].

وَفِي هَذِهِ الأَسْطُرِ الثَّلَاثَةِ عِدَّةُ أَخْطَاءٍ:

١- قَوْلُهُ: «يَا مُنْصِفَ الْمَوْتَى مِنَ الأَحْيَاءِ» خَطَأٌ؛ لأَنَّ إِنْصَافَ الْمَوْتَى مِنَ الأَحْيَاءِ مِنْ خَصَائِصِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

---

(١) المرجع السابق (ص٥٠).
(٢) المرجع السابق (ص١١٨).
(٣) المرجع السابق (ص١٥٦).
(٤) المرجع السابق (ص٦٠).

٢- قَوْلُهُ: "فَقَدْ كَانَ فلتَةً مِنْ فَلَتَاتِ الطَّبِيعَةِ" خَطَأٌ؛ لأَنَّ الفَلْتَةَ هُوَ: الشَّيْءُ الَّذِي يَأْتِي مُصَادَفَةً مِنْ غَيرِ سَابِقِ تَقْدِيرٍ وَنَظَرٍ، وَهَذِهِ عَقِيدَةُ المُلْحِدِينَ، الَّذِينَ يَزْعُمُونَ: أَنَّ الطَّبِيعَةَ هِيَ المُوْجِدَةُ لِهَذَا الكَوْنِ.

٣- قَوْلُهُ: "قَلَّمَا يَجُودُ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ" خَطَأٌ؛ لأَنَّ فِيهِ إِسْنَادَ الخَلْقِ إِلَى الزَّمَانِ لَا إِلَى اللهِ.

٤- قَوْلُهُ عَنِ البَنَّا: "وَهُوَ لَمْ يَمُتْ، بَلْ حَيٌّ عِنْدَ رَبِّهِ يُرزَقُ" خَطَأٌ؛ وَالصَّوَابُ: أَنْ يَقُولَ: أَرجُو لَهُ الخَيْرَ، وَأَرْجُو لَهُ الجَنَّةَ، وَأَرْجُو أَنَّهُ شَهِيدٌ؛ لِقَولِ النَّبِيِّ ﷺ: «**وَاللهِ مَا أَدْرِي -وَأَنَا رَسُولُ اللهِ- مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ!**»[(١)] [(٢)].

وَقَالَ سَعِيدُ حَوَّى رَحِمَهُ اللهُ: "فَهَلْ رَأَى أَحَدٌ فِي هَذِهِ الآيَةِ رَجُلًا كَحَسَنِ البَنَّا؟ وَهَلْ رَأَى الجِيلُ الحَاضِرُ رَجُلًا أَصْلَبَ مِنْ حَسَنِ الهُضَيبِيِّ، وَإِنَّ لِخَلِيفَةِ الاثْنَينِ فِي أَعنَاقِنَا لَبَيعَةً"[(٣)].

---

(١) أخرجه البُخاريُّ (٧٠١٨) عَنْ أُمِّ العَلَاءِ. وَإِنَّمَا قَالَ ﷺ ذَلِكَ؛ مُوَافَقَةً لِقَولِهِ -تعالَى-: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف:٩]. وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ نُزُولِ قَولِهِ -تَعَالَى-: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢]، وَقَدْ ثَبَتَ فِي "صحيح مسلم" (١٩٦): أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ».

(٢) "المورد العذب" للشيخ أحمد النجمي (ص٩٨-١٠٠) بتصرف.

(٣) "المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين" (ص٣٠) لسعيد حوى.

وَقَالَ -أَيضًا-: «إِنَّ الانْطِلَاقَةَ عَلَى غَيرِ فِكْرِ الأُسْتَاذِ البَنَّا فِي عَصْرِنَا قَاصِرَةٌ، أَوْ مُسْتَحِيلَةٌ، أَوْ عَمْيَاءُ، إِذَا مَا أَرَدْنَا عَمَلًا مُتَكَامِلًا فِي خِدْمَةِ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ»(١).

وَقَالَ -أَيضًا-: «إِنَّ المُسْلِمِينَ لَيسَ أَمَامَهُمْ إِلَّا فِكْرُ الأُسْتَاذِ حَسَن البَنَّا؛ إِذَا مَا أَرَادُوا الانْطِلَاقَ الصَّحِيحَ»(٢).

وَقَالَ مُصْطَفَى السِّبَاعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ [فِي وَصْفِ حَسَن البَنَّا]:

«فَمَا هُوَ إِلَّا النُّورُ المُرْسَلُ مِنَ السَّمَاءِ؛ لِيَكْشِفَ عَنْ أَهْلِ الخُلُودِ ظُلُمَاتِهِمْ، ثُمَّ يَظَلُّ فِي السَّمَاءِ دَائِمًا وَأَبَدًا، وَلَنْ يَخْتَلِطَ بِتُرَابِ الأَرْضِ؛ إِلَّا كَمَا تَقَعُ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ عَلَى أَعْلَى القُصُورِ وَأَدْنَاهَا»(٣).

وَأَمَّا عُمَر بَهَاءِ الدِّينِ الأَمِيرُ -وَهُوَ مِنْ أَعْلَامِ الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ فِي الخَمْسِينَاتِ- فَقَدْ أَعْطَى حَسَن البَنَّا بَعْضَ صِفَاتِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-! وَتَأَمَّلْ هَذَينِ البَيْتَينِ فِي وَصْفِ حَسَن البَنَّا:

أَوْ تَأَمَّلْتَ عَلَى أَهْلِ خَطْبٍ عَطْفَتَهْ
مِنْ كَرِيمٍ عَاثِرٍ جَدَّ يَمْحُو عَثْرَتَهْ!(٤)

وَقَالَ فِي أَبيَاتٍ أُخَرَ:

---

(١) «في آفاق التعليم» لسعيد حوى (ص٥).

(٢) المرجع السابق (ص٥).

(٣) «حسن البنّا بقلم تلامذته ومعاصريه» لجابر رزق (ص١٠٤).

(٤) المرجع السابق (ص٨٧).

زَاخِـــرُ الأَعْــمَاقِ بِالإِيـــ ـــــمَانِ فِي دَعْوَتِــــــهِ

مُنْكِـــرُ الـــذَّاتِ حَكِيـــ ـــمُ الـــسَّيْرِ فِي وِجْهَتِــهِ

طِــــــبُّ أَرْوَاحٍ فَـــــلَا تَخْفَـــى عَلَيْـــهِ خَافِيَـــهْ[1]

---

(١) المرجع السابق (ص٨٧).

فَتَاوَى أَهْلِ العِلْمِ فِي جَمَاعَةِ الإِخْوَانِ

١) فَتْوَى الإِمَامِ عَبدِالعَزِيزِ بنِ عَبدِاللهِ بْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «حَرَكَةُ (الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ) يَنْتَقِدُهَا خَوَاصُّ أَهْلِ العِلْمِ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُمْ نَشَاطٌ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ، وَإِنْكَارِ الشِّرْكِ، وَإِنْكَارِ البِدَعِ! لَهُمْ أَسَالِيبُ خَاصَّة يَنْقُصُهَا عَدَمُ النَّشَاطِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَعَدَمُ التَّوْجِيهِ إِلَى العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي عَلَيهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

فَيَنْبَغِي لِ(لإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ) أَنْ تَكُونَ عِنَايَتُهُمْ بِالدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ الدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ، وَإِنْكَارِ عِبَادَةِ القُبُورِ، وَالتَّعَلُّقِ بِالأَمْوَاتِ، وَالاسْتِغَاثَةِ بِأَهْلِ القُبُورِ: كَالحُسَينِ، وَالحَسَنِ، أَوِ البَدَوِيِّ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ»[1].

وَسُئِلَ سُؤَالاً هَذَا نَصُّهُ: حَدِيثُ النَّبِيِّ -ﷺ- فِي افْتِرَاقِ الأُمَمِ، قَوْلُهُ: «**سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةٍ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»[2]. فَهَلْ جَمَاعَةُ (التَّبْلِيغِ) عَلَى مَا عِنْدَهُمْ مِنْ شِرْكِيَّاتٍ وَبِدَعٍ،

---

(١) المجلة (٢٤) عدد (٨٠٦) ٢٥ صفر ١٤١٦هـ، و«الأجوبة المفيدة» (ص٧٢).

(٢) رَوَاهُ ابنُ مَاجَه (٣٩٩٢)، وَابنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «السنة» (٦٣)، وَاللَّالَكَائِيُّ فِي «شرح السنة» (١/٢٣/١) عَنْ عَوفِ بنِ مَالِكٍ مَرفُوعًا، وَصَحَّحَهُ الأَلبَانِيُّ فِي «الصحيحة» (١٤٩٢)، وَفِي «صحيح الجامع» (١٠٨٢).

(وَجَمَاعَةُ الإِخْوَانِ) المُسْلِمِينَ عَلَى مَا عِنْدَهُمْ مِنْ: تَحَزُّبٍ، وَشَقِّ العَصَا عَلَى وُلَاةِ الأُمُورِ، وَعَدَمِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، هَلْ هَاتَانِ مِنْ ضِمْنِ الاثْنَتَينِ وَالسَّبْعِينَ، هَاتَانِ؟

فَأَجَابَ: «مَنْ خَالَفَ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ دَخَلَ فِي الاثْنَتَينِ وَالسَّبْعِينَ. (أُمَّتِي): هِيَ أُمَّةُ الإِجَابَةِ، الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَهُ، وَأَظْهَرُوا الاتِّبَاعَ عَنْهُمْ لَه، فَثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ: فِرْقَةٌ نَاجِيَةٌ سَلِيمَةٌ، الَّتِي اتَّبَعَتْهُ، وَاسْتَقَامَتْ عَلَى دِينِهِ، وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً فِيهِمُ الكَافِرُ، وَفِيهِمُ العَاصِي، وَفِيهِمُ المُبْتَدِعُ أَقْسَامٌ».

ثُمَّ قَالَ السَّائِلُ: فَهَلْ هَاتَانِ الفِرْقَتَانِ مِنْ ضِمْنِ الاثْنَتَينِ وَالسَّبْعِينَ؟

فَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ: «إِيه -أَيْ: نَعَمْ- مِنَ الاثْنَتَينِ وَالسَّبْعِينَ، بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ يَرَى الخَوَارِجَ مِنَ الكُفَّارِ، لَكِنْ هُمْ دَاخِلُونَ فِي عُمُومِ الاثْنَتَينِ وَالسَّبْعِينَ؟»[1].

٢) فَتْوَى مُحَدِّثِ العَصْرِ الإِمَامِ مُحَمَّدٍ نَاصِرِ الدِّينِ الأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ

سُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ: هَلْ مَنْهَجُ الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ عَلَى السُّنَّةِ؟

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللهُ قَائِلًا: «مِنَ المَعْرُوفِ أَنَّ مِنْ قَوَاعِدِ الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ (نَتَعَاوَنُ فِيمَا اتَّفَقْنَا فِيهِ، وَيَعْذُرُ بَعْضُنَا بَعْضًا فِيمَا اخْتَلَفْنَا

---

(١) مِن شَرِيطِ أَحَدِ دُروسِ «المنتقى» فِي مَدِينَةِ الطَّائِفِ سَنَةَ (١٤١٦هـ) قَبلَ وَفاتِهِ بِسَنَتَينِ.

فِيهِ)، وَهَذَا الإِطْلَاقُ غَيْرُ صَحِيحٍ وَبِالذَّاتِ القِسْمُ الأَخِيرُ (وَيَعْذُرُ بَعْضُنَا بَعْضًا فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ!...)

وَالخُلَاصَةُ بَارَكَ اللهُ فِيكَ: (الإِخْوَانُ المُسلِمُونَ) يَنْطَلِقُونَ مِنْ هَذِهِ القَاعِدَةِ، الَّتِي وَضَعَهَا لَهُمْ رَئِيسُهُمُ الأَوَّل، وَعَلَى إِطْلَاقِهَا، وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُ فِيهِمُ التَّنَاصُحَ المُسْتَقَى مِنْ نُصُوصِ كِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- لِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر:١-٣].

الحَقُّ -كَمَا تَعْلَمُ- ضِدُّ البَاطِلِ، وَالبَاطِلُ أُصُولِيٌّ وَفُرُوعِيٌّ، وَكُلُّ مَا خَالَفَ الصَّوَابَ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَهَذِهِ العِبَارَةُ هِيَ سَبَبُ بَقَاءِ (الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ) نَحْوَ ٧٠ سَنَةً عَمَلِيًّا، بَعِيدِينَ فِكْرِيًّا عَنْ فَهْمِ الإِسْلَامِ فَهْمًا صَحِيحًا، وَبِالتَّالِي بَعِيدِينَ عَنْ تَطْبِيقِ الإِسْلَامِ عَمَلِيًّا؛ لأَنَّ فَاقِدَ الشَّيءِ لَا يُعْطِيهِ»[(١)].

وَقَالَ أَيضًا رَحِمَهُ اللهُ: «لَيسَ صَوَابًا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ (الإِخْوَانَ المُسلِمِينَ) هُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ لأَنَّهُمْ يُحَارِبُونَ السُّنَّةَ»[(٢)].

وَسُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ: عَنْ حُكْمِ الدُّخُولِ فِي حِزْبِ التَّجَمُّعِ اليَمَنِيِّ لِلإِصْلَاحِ؟

---

(١) من شريط «لقاء مع سروري» للألباني، الوجه الأول.

(٢) من شريط «لقاء مع سروري» للألباني، الوجه الثاني.

فَأَجَابَ الإِمَامُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «إِنَّ الأَحْزَابَ فِي بِلَادِ الإِسْلَامِ حَقًّا لَا تَجُوزُ؛ لأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]، فَلَيسَ هُنَاكَ إِلَّا حِزْبٌ وَاحِدٌ، وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْهَمَ مِنْ كَلِمَتِي السَّابِقَةِ حَوْلَ (الدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ)، وَلِمَاذَا نَحْنُ نَقُولُ: الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَمَنْهَجُ السَّلَفِ الوَاحِدِ (السَّلَفِ الصَّالِحِ)؟ حَتَّى يَكُونَ المُسْلِمُونَ حِزْبًا وَاحِدًا، وَعَلَى مَنْهَجٍ وَاحِدٍ، وَلِذَلِكَ فَلَا حِزْبِيَّةَ فِي الإِسْلَامِ، وَبِخَاصَّةٍ وَرَبُّ الأَنَامِ يَقُولُ فِي القُرآنِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١-٣٢]. وَأَنَا صَحِيحٌ لَسْتُ يَمَانِيًّا، وَلَا جِئْتُ اليَمَنَ، وَلَكِنْ أَنَا أَعْرِفُ أَنَّ مَرَضَ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي كُلِّ بِلَادِ الإِسْلَامِ هُوَ وَاحِدٌ، وَهُوَ: بُعْدُهُم -كَمَا سَمِعتَ آنِفًا- مِنْ جِهَةٍ، مِنْ حَيثُ الأُسْلُوبُ العِلْمِيُّ؛ كَيْفَ يَعْرِفُونَ الخَطَأَ مِنَ الصَّوَابِ! كَيفَ يَعْرِفُونَ العَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ مِنَ العَقِيدَةِ البَاطِلَةِ، هُوَ عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَهُمْ بَعِيدُونَ عَنْهَا! ثُمَّ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ يَقُومُونَ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، وَلَكِنْ لَا يَبْتَغُونَ وَجْهَ اللهِ، كَمَا كُنْتُ أَشْرَعُ فِي الكَلِمَةِ الثَّانِيَةِ، الآنَ الدَّاءُ فِي البِلَادِ الإِسْلَامِيَّةِ وَاحِدٌ، لَا فَرْقَ بَيْنَ هُنَا -الأُرْدُن-، وَبَينَ سُورِيَة، وَبَينَ الجَزَائِرِ، وَبَينَ تُونُس، وَبَينَ لِيبيَا، وَالمَغْرِب، ثُمَّ ارْجِعْ إِلَى الشَّرْقِ كُلِّهِ، العِلَّةُ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ: بُعْدُهُمْ عَنِ الاهْتِدَاءِ بِكِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَلَى مَا كَانَ عَلَيهِ

السَّلَفُ الصَّالِحُ.

الآنَ أَقُولُ: هَذَا التَّجَمُّعُ -أَيِ: التَّجَمُّعُ اليَمَنِيُّ لِلإِصْلَاحِ- يَقِينًا لَمْ يَقُمْ عَلَى أَسَاسِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوَّلًا، ثُمَّ يَقِينًا لَمْ يَقُمْ عَلَى أَسَاسِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَنْهَجِ السَّلَفِ... أَنَا لَسْتُ يَمَانِيًّا، وَلَكِنْ هَذَا الوَاقِعُ فِي اليَمَنِ[1]».

سُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَلِ المُنْتَمِي إِلَى حِزْبِ (الإخوان)، أَوِ (التبليغ) فِي بِلَادِنَا عَلَى صَوَابٍ، أَمْ عَلَى خَطَإٍ؟

فَأَجَابَ: «الَّذِي أَرَى أَنَّهُ عَلَى خَطَإٍ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تُفَرَّقَ الأُمَّةُ...»[2].

٣) فَتْوَى العَلَّامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ العُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ عُضْوِ هَيْئَةِ كِبَارِ العُلَمَاءِ

وَسُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَلْ هُنَاكَ نُصُوصٌ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- فِيهِمَا إِبَاحَةُ تَعَدُّدِ الجَمَاعَاتِ أَوِ الإِخْوَانِ؟.

فَأَجَابَ قَائِلًا: «نَعَم، أَقُولُ: لَيسَ فِي الكِتَابِ، وَلَا فِي السُّنَّةِ مَا يُبِيحُ تَعَدُّدَ الأَحْزَابِ وَالجَمَاعَاتِ، بَلْ إِنَّ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا يَذُمُّ ذَلِكَ، قَالَ اللهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ

(١) من شريط «إعلام القاصي والداني» للألباني.

(٢) «الصحوة الإسلامية» (ص٢٦٥).

مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٩]، وَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم:٣٢].

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الأَحْزَابَ تَتَنَافَى مَعَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، بَلْ مَا حَثَّ عَلَيهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون:٥٢].

وَقَولُ بَعْضِهِمْ: إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِلدَّعْوَةِ أَنْ تَقْوَى إِلَّا إِذَا كَانَتْ تَحْتَ حِزْبٍ!؟ نَقُولُ هَذَا لَيسَ صَحِيحًا، بَلْ إِنَّ الدَّعْوَةَ تَقْوَى كُلَّمَا كَانَ الإِنْسَانُ مُنْطَوِيًا إِلَى كِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مُتَّبِعًا لآثَارِ النَّبِيِّ ﷺ وَخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ»[1].

٤) فَتَاوَى مُحَدِّثِ الدِّيَارِ اليَمَنِيَّةِ مُقْبِلِ بنِ هَادِي الوَادِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ

سُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ: هَلْ جَمَاعَةُ (الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ) وَ(التَّبْلِيغِ) وَ(القُطْبِيُّونَ) مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، أَمْ لَا؟

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللهُ قَائِلًا: «أَمَّا جَمَاعَةُ (الإِخْوَانِ) وَ(التَّبْلِيغِ) و(القُطْبِيُّونَ) فَالأَوْلَى أَنْ يُحْكَمَ عَلَى مَنَاهِجِهِمْ، فَمَنَاهِجُهُمْ لَيسَتْ بِمَنَاهِجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ. أَمَّا الأَفْرَادُ فَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ مُلَبَّسٌ عَلَيهِ، وَيَكُونُ سَلَفِيًّا وَيَأْتُونَهُ مِنْ بَابِ نَصْرِ دِينِ اللهِ،

---

(١) عن شريط «مجموعة كلام العلماء في عبدالرحمن بن عبدالخالق» الوجه الثاني، وانظر: «الصحوة الإسلامية» (ص٢٥٨).

وَيَمْشِي مَعَهُمْ لَا يَدْرِي مَا هُمْ عَلَيهِ؛ فَهُمْ خَلِيطٌ، الأَفْرَادُ خَلِيطٌ، لَا يُسْتَطَاعُ الحُكْمُ عَلَيهِمْ بِحُكْمٍ عَامٍّ، لَكِنَّ المَنَاهِجَ لَيْسَتْ بِمَنَاهِجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ[(١)]».

وَسُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ: مَا هُوَ مَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ مِنَ (الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ) وَ(حِزْبِ التَّحْرِيرِ)؟! بَيِّنُوا لَنَا وَجْهَ انْحِرَافِهِمْ، وَجَزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا؟

فَأَجَابَ بِقَولِهِ: «مَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ مِنَ الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ أَنَّهُمْ يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْهَجِهِمْ بِأَنَّهُ مَنْهَجٌ مُبتَدَعٌ، وَعَلَى أَفْرَادِهِمْ بِأَنَّهُ مَنْ كَانَ يَعْلَمُ بِالمَنْهَجِ وَيَلْتَزِمُ بِهِ فَإِنَّهُ مُبْتَدِعٌ، وَمَنْ كَانَ لَا يَعْلَمُ المَنْهَجَ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَنْصُرُ الإِسْلَامَ وَالمُسْلِمِينَ، فَيُعْتَبَرُ مُخْطِئًا»[(٢)].

وَسُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ: هَلْ (الإِخْوَانُ المُسْلِمُونَ) يَدْخُلُونَ تَحْتَ مُسَمَّى الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، وَالطَّائِفَةِ المَنْصُورَةِ، أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، مَنْهَجًا وَأَفْرَادًا، أَمْ لَا؟

فَأَجَابَ بِقَولِهِ: «أَمَّا المَنْهَجُ فَمَنْهَجٌ مُبْتَدَعٌ مِنْ تَأْسِيسِهِ وَمِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ؛ فَالمُؤَسِّسُ كَانَ يَطُوفُ بِالقُبُورِ وَهُوَ حَسَن البَنَّا، وَيَدْعُو إِلَى التَّقْرِيبِ بَينَ السُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ، وَيَحْتَفِلُ بِالمَوَالِدِ، فَالمَنْهَجُ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ

---

(١) عن شريط «الأسئلة السنية لعلامة البلاد اليمنية» وانظر كتاب «فضائح ونصائح» للوادعي (ص١٢٣)، وانظر «غارة الأشرطة» (٢/ ٨).

(٢) «تحفة المجيب» (ص٢٠٣).

مَنْهَجٌ مُبْتَدَعٌ ضَالٌّ.

أَمَّا الأَفْرَادُ فَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُجْرِي عَلَيهِمْ حُكْمًا عامًّا، فَمَنْ كَانَ يَعْرِفُ أَفْكَارَ حَسَن البَنَّا المُبْتَدِعِ، ثُمَّ يَمْشِي بَعْدَهَا فَهُوَ ضَالٌّ، وَمَنْ كَانَ لَا يَعْرِفُ هَذَا وَدَخَلَ مَعَهُمْ بِاسْمِ أَنَّهُ يَنْصُرُ الإِسْلَامَ وَالمُسْلِمِينَ، وَلَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ، فَلَسْنَا نَحْكُمُ عَلَيهِ بِشَيْءٍ، لَكِنَّنَا نَعْتَبِرُهُ مُخْطِئًا، وَيَجِبُ عَلَيهِ أَنْ يُعِيدَ النَّظَرَ؛ حَتَّى لَا يَضِيعَ عُمْرُهُ وَرَاءَ الأَنَاشِيدِ وَالتَّمْثِيلِيَّاتِ، وَانْتِهَازِ الفُرَصِ لِجَمْعِ الأَمْوَالِ»[1].

وَسُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَلِ (الإِخْوَانُ المُسْلِمُونَ) مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ؟

فَأَجَابَ بِقَولِهِ: «(الإِخْوَانُ المُسْلِمُونَ) مَنْهَجُهُمْ لَيسَ مَنْهَجَ أَهْلِ السُّنَّةِ، أَمَّا أَفْرَادُهُمُ المُلَبَّسُ عَلَيهِمْ، فَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُطْلِقَ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ لَيسَ بِسُنِّيٍّ، لَكِنْ سُنِّيَّةٌ مُزَعْزَعَةٌ، أَمَّا دِيمُقْرَاطِيٌّ وَسُنِّيٌّ، فَهَذَا لَا يَصْلُحُ، لأَنَّ الدِّيمُقْرَاطِيَّةَ: هِيَ تَعْطِيلُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَقَ عَلَيهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، لَكِنْ يُطْلَقُ عَلَى بَعْضِ أَفْرَادِهِمُ المُلَبَّسِ عَلَيهِ، الَّذِي لَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ دَعْوَةِ (الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ) فَفِيهِمْ أُنَاسٌ مُلَبَّسٌ عَلَيهِمْ»[2].

٥) فَتْوَى العَلَّامَةِ المُحَدِّثِ حَمَّادٍ الأَنْصَارِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

سُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَلْ جَمَاعَةُ (الإِخْوَانِ)، وَ(التَّبْلِيغِ) مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ؟

---

(١) «تحفة المجيب» (ص٢٠٣).

(٢) «تحفة المجيب» (ص٩٠).

فَأَجَابَ بِقَولِهِ: "كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَى فِكْرٍ مُخَالِفٍ لأَهْلِ السُّنَّةِ فَلَيسَ مِنْهُمْ، فَجَمَاعَةُ (الإِخْوَانِ)، وَ(التَّبْلِيغِ) لَيسُوا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ لأَنَّهُمْ عَلَى أَفْكَارٍ تُخَالِفُهُمْ"[1].

٦) فَتَاوَى العَلَّامَةِ صَالِحِ بْنِ فَوْزَانَ الفَوْزَانِ حَفِظَهُ اللهُ عُضْوِ هَيْئَةِ كِبَارِ العُلَمَاءِ

قَالَ -حَفِظَهُ اللهُ-: "فَقَدْ حَاوَلَ أَعْدَاءُ هَذِهِ الدَّعْوَةِ أَنْ يَقْضُوا عَلَيهَا بِالْقُوَّةِ، فَلَمْ يَنْجَحُوا، وَحَاوَلُوا أَنْ يُقَاوِمُوهَا بِالتَّشْكِيكِ وَالتَّخْلِيلِ وَالشُّبُهَاتِ، وَوَصْفِهَا بِالأَوْصَافِ الْمُنَفِّرَةِ، فَمَا زَادَهَا إِلَّا تَأَلُّقًا، وَوُضُوحًا، وَقُبُولًا، وَإِقْبَالًا.

وَمِنْ آخِرِ ذَلِكَ: مَا نُعَايِشُهُ الآنَ مِنْ وُفُودِ أَفْكَارٍ غَرْبِيَّةٍ مَشْبُوهَةٍ إِلَى بِلَادِنَا بِاسْمِ الدَّعْوَةِ، عَلَى أَيدِي جَمَاعَاتٍ تَتَسَمَّى بِأَسْمَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ، مِثْلَ: (الإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ)، وَ(جَمَاعَةِ التَّبْلِيغِ)، وَجَمَاعَةِ كَذَا، وَكَذَا، وَهَدَفُهَا وَاحِدٌ، وَهُوَ: أَنْ تُزِيحَ دَعْوَةَ التَّوحِيدِ، وَتَحِلَّ مَحَلَّهَا"[2].

---

(١) "ترجمة العلامة المحدث حماد بن محمد الأنصاري وسيرته وأقواله ورحلاته" (٢/٧٦٢-٧٦٣).

(٢) مقدمة كتاب "حقيقة الدعوة إلى الله" (ص٤، ٣).

كَلِمَةُ حَقٍّ

الحَقُّ، أَقُولُ لَكَ أَخِي فِي اللهِ: إِنَّ الشَّيخَ حَسَنًا البَنَّا رَحِمَهُ اللهُ حَاوَلَ جَمْعَ المُسْلِمِينَ عَلَى حِسَابِ العَقِيدَةِ، فَظَنَّ أَنَّ هَذَا الخِلَافَ القَائِمَ فِي العَقِيدَةِ لَا حَاجَةَ لِلنَّاسِ إِلَيهِ، فَيَتَنَازَلُ كُلٌّ مِنْهُمَا عَنْ بَعْضِ الشَّيْءِ، وَيَلْتَقُونَ فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ، وَخَاصَّةً إِبَّانَ هَذِهِ الظُّرُوفِ العَصِيبَةِ الَّتِي يَشْهَدُهَا العَالَمُ الإِسْلَامِيُّ مِنْ أَقْصَاهُ إِلَى أَدْنَاهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ حَسَن البَنَّا رَحِمَهُ اللهُ: "وَأَهَمُّ مَا يَجِبُ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيهِ هَمُّ المُسْلِمِينَ الآنَ: تَوحِيدُ الصُّفُوفِ، وَجَمْعُ الكَلِمَةِ مَا اسْتَطَعْنَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً، وَاللهُ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ"[1]. اهـ.

وَقَالَ -أَيضًا-: "وَالهَدَفُ هُوَ تَجْمِيعُ النَّاسِ عَلَى إِعَادَةِ أَحْكَامِ الإِسْلَامِ، لَا تَفْرِيقُهُمْ بِاتِّبَاعِ مَذْهَبٍ مِنَ المَذَاهِبِ، وَإِلْزَامِ النَّاسِ بِهِ، فَيَرضَى مَنْ يَرْضَى، وَيَغْضَبُ مَنْ يَغْضَبُ، وَتَتَبَدَّدُ الجُهُودُ"[2].

وَقَالَ الهُضَيْبِيُّ -وَهُوَ مِنْ كِبَارِ قَادَةِ الإِخْوَانِ فِي مِصْرَ-: "إِذَا قَبِلَ وَاحِدٌ مِنَ الأَقْبَاطِ مَبْدَأَنَا نُرَشِّحُهُ فَورًا عَلَى قَوَائِمِنَا. وَنَحْنُ لَا نَطْلُبُ مِنْهُ بِطَبِيعَةِ الحَالِ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا..." إلخ[2]. وَقَالَ -أَيضًا-: "لَيْسَ لَدَينَا مَانِعٌ أَنْ يَكُونَ القُبْطِيُّ عُضْوًا فِي جَمَاعَةِ الإِخْوَانِ"[2].

---

(١) "مجموعة الرسائل لحَسَن البنَّا" (ص٥٠٠).

(٢) لقاء مأمون الهضيبي مع مجلة المحرر العدد (٢٦٧) في ٢٩/أغسطس ١٩٩٤م.

فَانْظُرْ أَخِي فِي اللهِ إِنَّ التَّجَمُّعَ عَلَى مَبَادِئَ عَامَّةٍ، وَأَفْكَارٍ غَامِضَةٍ لَيسَ هُوَ الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ.

بَلْ مِنَ الوَاجِبِ أَنْ يَسْبِقَ التَّجَمُّعَ الصَّحِيحَ اتِّفَاقٌ عَلَى العَقِيدَةِ، فَهِيَ الرَّكِيزَةُ الأَسَاسِيَّةُ الَّتِي تَنْطَوِي تَحْتَ لِوَائِهَا صُفُوفُ المُسْلِمِينَ، مِنْهَا يَسْتَلْهِمُونَ طَرِيقَ وِحْدَتِهِمْ، وَعَلَى ضَوْئِهَا يَشُقُّونَ طَرِيقَهُمْ إِلَى أَعْلَى قِمَمِ المَجْدِ وَالعُلَى؛ فَإِنَّ أَسَاسَ كُلِّ عَمَلٍ فِي الإِسْلَامِ إِنَّمَا يَنْطَلِقُ مِنَ العَقِيدَةِ، وَيَرْتَكِزُ عَلَيهَا كَمَا يَرْتَكِزُ البِنَاءُ عَلَى أَرْكَانِهِ.

وَالبَيْتُ لَا يُبْنَى إِلَّا لَهُ عُمُدٌ   وَلَا عِمَادُ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ

وَإِذَا عَرَفْنَا ذَلِكَ فَإِنَّ أَيَّةَ دَعْوَةٍ إِلَى اللهِ، إِذَا لَمْ يَنْطَلِقْ أَصْحَابُهَا مِنْ هَذَا المَبْدَإِ الأَسَاسِيِّ، وَلَمْ تُؤَسَّسْ عَلَى هَذَا البِنَاءِ الرَّاسِخِ، وَلَمْ تَقُمْ عَلَى تَحْقِيقِ التَّوحِيدِ، وَتَخْلِيصِهِ مِنْ شَوَائِبِ الشِّرْكِ، وَالبِدَعِ، وَالمَعَاصِي، فَإِنَّهَا دَعْوَةٌ سَيُكْتَبُ لَهَا الفَشَلُ لَا مَحَالَةَ، عَاجِلًا أَمْ آجِلًا؛ لِأَنَّ البِنَاءَ لَا يَقُومُ فِي هَذَا الهَوَاءِ، وَلَا يُمْكِنُ تَشْيِيدُهُ إِلَّا عَلَى أَرْضٍ صُلْبَةٍ؛ حَتَّى لَا يَتَعَرَّضَ لِلانْهِيَارِ يومًا مِنَ الأَيَّامِ، قَالَ -تَعَالَى-: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [التوبة:١٠٩].

وَعِنْدَمَا نَدْعُو إِلَى الانْطِلَاقِ مِنْ هَذَا المَبْدَإِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي: إِهْمَالَ الجَوَانِبِ الأُخْرَى، وَإِنَّمَا نَعْنِي: بِأَنْ نَبْدَأَ أَعْمَالَنَا كُلَّهَا مِنْ هَذَا

المُنْطَلَقِ.

فَعَلَى ضَوْئِهِ تَكُونُ السِّيَاسَةُ، وَعَلَى مَنْهَجِهِ تَبْنِي الآدَابَ وَالأَخْلَاقَ، وَفِي حُدُودِهِ نَدعُو إِلَى التَّرغِيبِ وَالتَّرهِيبِ، وَعَلَى مَبَادِئِهِ يُوجَدُ -بِإِذْنِ اللهِ- المُجْتَمَعُ الإِسْلَامِيُّ المَنْشُودُ، وَتُوجَدُ السَّعَادَةُ البَشَرِيَّةُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ[1].

---

(١) "منهج السلف في العقيدة وأثره في وحدة المسلمين" بحث في مجلة البحوث العدد(١١)، للدكتور السحيمي، بتصرف.

لِمَاذَا اتَّبَعْتُ المَنْهَجَ السَّلَفِيَّ؟!

أَيْ أَخِي، بَعْدَ هَذَا التَّطَوُّفِ مَعَكَ، أُحِبُّ أَنْ أَقُولَ لَكَ: إِنَّ الإِخْوَانَ أَحَبُّ إِلَيَّ، وَالحَقُّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ، بَلْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ الضُّلُوعِ، أُحِبُّ أَنْ أَقُولَ لَكَ، وَلِكُلِّ أَخٍ أَحْبَبْتُهُ للهِ: إِنِّي تَرَكْتُ العَمَلَ مَعَ جَمَاعَةِ (الإِخْوَانِ) -مَعَ شِدَّةِ حُبِّي لَهُمْ-، وَاتَّبَعْتُ مَنْهَجَ السَّلَفِ، فَمَنْهَجُ السَّلَفِ لَا عَيْبَ فِيهِ، غَيْرَ أَنَّهُ مَنْهَجٌ مَعْصُومٌ، نَعَمْ مَعْصُومٌ، مَعْصُومٌ مِنَ الخَطَإِ!!!

مَعْصُومٌ؛ لأَنَّهُ المَنْهَجُ الَّذِي مَاتَ عَلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَيُّ خَطَإٍ صَدَرَ عَنْ مُجْتَهِدٍ فِي المَنْهَجِ السَّلَفِيِّ، فَهُوَ مَحْسُوبٌ عَلَى قَائِلِهِ، وَمَرْدُودٌ عَلَيهِ مَهْمَا كَانَ، وَلَا يُحْسَبُ عَلَى المَنْهَجِ السَّلَفِيِّ البَتَّةَ، وَلَسْنَا مُقَلِّدِينَ، وَلَوْ كُنَّا مُقَلِّدِينَ لَقَلَّدْنَا أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، بَلْ لَقَلَّدْنَا عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، فَكَيْفَ يَدَّعِي بَعْضُهُمْ أَنَّنَا نُقَلِّدُ الشَّيْخَ مُقْبلَ بنَ هَادِي رَحِمَهُ اللهُ.

وَهَذَا المَنْهَجُ السَّلَفيُّ لَهُ ضَابِطٌ مُهِمٌّ فِي النَّظَرِ وَالاسْتِدْلَالِ، وَضَابِطُهُ: (التَّمسُّكُ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ)، لِقَولِهِ -تَعَالَى-: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ ﴾ [البقرة:١٣٧]، وَالسَّلَفُ هُمُ الصَّحَابَةُ، وَفَهْمُهُمْ أَقْوَى الفَهْمِ، وَإِنَّمَا قُدِّمَ فَهْمُهُمْ عَلَى غَيرِهِمْ لأُمُورٍ:

أ- لأَنَّهُمْ عَاصَرُوا التَّشْرِيعَ، وَعَايَشُوهُ؛ فَعَلِمُوا مَوَاقِعَ التَّنْزِيلِ، وَوُرُودِ الأَدِلَّةِ عَلَى الوَقَائِعِ وَالأَحْوَالِ.

ب- وَلأَنَّ خِطَابَ الشَّارِعِ مُتَوَجِّهٌ إِلَيهِمْ فِي الأَصْلِ، وَهُمُ المُرَادُونَ بِهِ قَبْلَ غَيرِهِمْ.

ج- وَلأَنَّهُمْ أَهْلُ الفَصَاحَةِ وَالبَيَانِ، وَالوَحْيُ جَاءَ بِلِسَانِهِمْ، وَالرَّسُولُ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، يُوضِّحُ لَهُمْ مَا أَشْكَلَ عَلَيهِمْ.

د- أَنَّ النُّصُوصَ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الدَّالَّةَ عَلَى فَضْلِهِمْ وَعُلُوِّ قَدْرِهِمْ قَدْ تَوَاتَرَتْ.

هـ- وَلِأَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قَدْ جَعَلَ لَهُمُ الإِمَامَةَ فِي الدِّينِ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَثْنَى عَلَيهِمْ، وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُمْ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُمْ، وَإِنَّمَا نَالَ التَّابِعُ الفَضْلَ؛ لِفَضْلِ المَتْبُوعِ[1].

و- وَلأَنَّهُمْ نَاجُونَ مِنَ الضَّلَالِ، بَعِيدُونَ عَنْ مَوَاطِنِ الزَّلَلِ وَالتَّهْلُكَةِ، فَقَدْ شَهِدَ رَبُّ البَرِيَّةِ بِعَدَالَتِهِمْ، وَوَثَّقَهُمُ اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٨].

ز- وَلأَنَّهُمْ خَيرُ القُرُونِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي»[2].

---

(١) «العقيدة السلفيَّة» للجديع (ص٢٥).

(٢) رواه البخاريُّ (٣٦٥٠)، ومسلمٌ (٢٥٣٥)، عَنْ عِمرَانَ بنِ حُصَينٍ رضي الله عنه.

ح- ولأَنَّ أَغْلَبَ الطَّوائِفِ وَالفِرَقِ وَالجَماعَاتِ مُتَمَسِّكَةٌ بالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَكِنْ بِفَهْمِ مَنْ؟ أَلَيسَ بِفَهْمِ مَنْ أَنْشَأَهَا وَأَسَّسَهَا؟!

الجَهْمِيَّةُ تَدَّعِي التَّمَسُّكَ بالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ الجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، وَجَهْمِ بنِ صَفْوَانَ[1]، وَالأَشْعَرِيَّةُ مُتَمَسِّكَةٌ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ أَئِمَّتِهِمُ المُنْتَسِبِينَ إِلَى أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ، وَالشِّيعَةُ مُتَمَسِّكَةٌ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ أَئِمَّتِهِمُ الاثْنَي عَشَرَ، وَجَمَاعَةُ التَّبْلِيغ مُتَمَسِّكَةٌ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ مُحَمَّدِ إِلْيَاس، وَقِسْ عَلَى ذَلِكَ بَعْضَ الجَمَاعَاتِ، وَهَلْ تُعْرَفُ الجَمَاعَاتُ إِلَّا بِمُؤَسِّسِيهَا وَكِبَارِهَا وَمُنَظِّرِيهَا؟!.

(١) يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: إِنَّ كُلَّ الطَّوَائِفِ عِنْدَهُمْ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، سِوَى الجَهْمِيَّةِ؛ فَلَيسَ عِنْدَهُمْ عَنِ اللهِ شَيءٌ مِمَّا جَاءَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ.

شُبْهَةٌ وَالرَّدُّ عَلَيهَا

وَبَعْدَ هَذَا التَّعْرِيفِ المُوجَزِ يَحِقُّ لَكَ -أَخِي الحَبِيبُ- أَنْ تَسْأَلَ لِمَاذَا لَمْ أَذْكُرْ حَسَنَاتِ (الإِخْوَانِ)؛ جَرْيًا عَلَى القَاعِدَةِ المَشْهُورَةِ: (المُوَازَنَةُ بَيْنَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ)؟!

فَأَقُولُ لَكَ: هَذَا أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ عَلَيهِ سَلَفُ الأُمَّةِ وَعُلَمَاؤُهَا الَّذِينَ وَقَفُوا أَمَامَ أَهْلِ البِدَعِ وَالأَهْوَاءِ، وَبَيَّنُوا حَالَهُمْ لِلمُسْلِمِينَ، فَكَمْ مِنَ الرِّجَالِ قَالَ فِيهِمْ عُلَمَاءُ السَّلَفِ: فُلَانٌ حَدِيثُهُ لَيسَ بِشَيءٍ، وَفُلَانٌ لَا نَأْخُذُ عَنْهُ، وَفُلَانٌ ضَعِيفٌ؛ لأَنَّ الغَرَضَ هُوَ التَّحْذِيرُ!!

وَهَذِهِ القَاعِدَةُ الَّتِي قَعَّدَهَا الحِزْبِيُّونَ؛ لِتَكُونَ بَدِيلًا لِلقَاعِدَةِ الَّتِي كَشَفَ عَوَارَهَا[1] أَهْلُ العِلْمِ، وَهِيَ: (نَتَعَاوَنُ فِيمَا اتَّفَقْنَا عَلَيهِ، وَيَعْذُرُ بَعْضُنَا بَعْضًا فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ)، وَقَدْ أَنْكَرَهَا جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي عَصْرِنَا: كَالشَّيخِ ابْنِ بَازٍ، وَالشَّيخِ الأَلْبَانِيِّ، وَالشَّيخِ ابْنِ عُثَيْمِينَ، وَالشَّيخِ الوَادِعِيِّ -رَحِمَهُمُ اللهُ-، وَغَيْرُهُمْ.

وَقَدْ سُئِلَ العَلَّامَةُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: عَنْ أُنَاسٍ يُوجِبُونَ المُوَازَنَةَ: أَنَّكَ إِذَا انْتَقَدْتَ مُبْتَدِعًا بِبِدْعَةٍ؛ لِيَحْذَرَ النَّاسُ مِنْهُ، يَجِبُ أَنْ تَذْكُرَ حَسَنَاتِهِ؛ حَتَّى لَا تَظْلِمَهُ؟.

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللهُ قَائِلًا: «لَا، مَا هُوَ بِلَازِمٍ، مَا هُوَ بِلَازِمٍ، وَهَذَا إِذَا

---

[1] العَوَارُ -بِالفَتحِ-: العَيبُ، «مختار الصحاح».

قَرَأْتَ كُتُبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَجَدْتَ المُرَادَ التَّحْذِيرَ، اقْرَأْ فِي كُتُبِ البُخَارِيِّ «خَلْقِ أَفْعَالِ العِبَادِ» فِي كِتَابِ الأَدَبِ فِي الصَّحِيحِ، «كِتَابُ السُّنَّةِ» لِعَبدِاللهِ بنِ أَحْمَدَ، «كِتَابُ التَّوْحِيدِ» لابْنِ خُزَيْمَةَ، رَدُّ عُثْمَانَ ابنِ سَعِيدٍ الدَّارِمِيِّ عَلَى أَهْلِ البِدَعِ، إِلَى غَيرِ ذَلِكَ، يُورِدُونَهُ لِلتَّحْذِيرِ مِنْ بَاطِلِهِمْ، مَا هُوَ المَقْصُودُ تَعْدِيدُ مَحَاسِنِهِمْ، المَقْصُودُ التَّحْذِيرُ مِنْ بَاطِلِهِمْ وَمَحَاسِنُهُمْ لَا قِيمَةَ لَهَا بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ كَفَرَ، إِنْ كَانَتْ بِدْعَتُهُ تُكَفِّرُهُ، بَطَلَتْ حَسَنَاتُهُ، وَإِنْ كَانَتْ لَا تُكَفِّرُهُ، فَهُوَ عَلَى خَطَرٍ. فَالمَقْصُودُ هُوَ: بَيَانُ الأَخْطَاءِ وَالأَغْلَاطِ الَّتِي يَجِبُ الحَذَرُ مِنْهَا»[1]. اهـ.

وَقَالَ الشَّيخُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي رَدِّهِ عَلَى هَذِهِ القَاعِدَةِ: «هَذِهِ طَرِيقَةُ المُبْتَدِعَةِ، حِينَمَا يَتَكَلَّمُ العَالِمُ بِالحَدِيثِ فِي رَجُلٍ صَالِحٍ وَعَالِمٍ وَفَقِيهٍ، فَيَقُولُ عَنْهُ: سَيِّئُ الحِفْظِ، هَلْ يَقُولُ: إِنَّهُ مُسْلِمٌ، وَإِنَّهُ صَالِحٌ، وَإِنَّهُ فَقِيهٌ، وَإِنَّهُ يُرْجَعُ إِلَيهِ فِي اسْتِنْبَاطِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، إِلَى غَيرِ ذَلِكَ؟! مِنْ أَيْنَ لَهُمْ أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا جَاءَتْ مُنَاسَبَةٌ لِبَيَانِ خَطَإٍ فِيهِمْ؟! إِنْ كَانَ دَاعِيَةً، أَوْ غَيرَ دَاعِيَةٍ، لازِمْ مَا[2] يَعْمَلْ مُحَاضَرَةً، وَيَذْكُرْ مَحَاسِنَهُ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا؟! اللهُ أَكْبَرُ! شَيْءٌ عَجِيبٌ!».

---

(١) مِنْ شَرِيطٍ مُسَجَّلٍ لِدَرسٍ مِنْ دُرُوسِ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ الَّتِي أَلْقَاهَا فِي صَيفِ عَامِ ١٤١٣هـ فِي الطَّائِفِ بَعْدَ صَلَاةِ الفَجْرِ، كَمَا فِي كتاب «المحجة البيضاء» لِلشَّيخِ رَبِيعٍ المَدْخَلِيِّ حَفِظَهُ اللهُ (ص٨).

(٢) (ما) هنا زائدة، والشيخ تكلم باللهجة. مصححه.

-وَضَحِكَ الشَّيخُ هُنَا تَعَجُّبًا-[١].

وَسُئِلَ فَضِيلَةُ الشَّيخِ ابْنِ عُثَيمِينَ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ هَذِهِ القَاعِدَةِ، فَقَالَ: "إِذَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّ بِدْعَتَهُ فَلَا وَجْهَ لِكَونِهِ يَذْكُر المَحَاسِنَ؛ لأَنَّ ذِكْرَ المَحَاسِنَ فِي مَقَامِ الرَّدِّ، يَعْنِي: أَنَّ الرَّدَّ يَكُونُ ضَعِيفًا، وَغَيرَ مَقْبُولٍ!"[٢].

وَسُئِلَ العَلَّامَةُ النَّجْمِيُّ -حَفِظَهُ اللهُ- مَتَى نَعْمَلُ بِمَبْدَإِ المُوَازَنَةِ بَينَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ؟ أَمْ أَنَّهُ مَبْدَأٌ خَاطِئٌ؟ وَضِّحُوا لَنَا ذَلِكَ بِمَا تَرَوْنَهُ مُنَاسِبًا، جَزَاكُمُ اللهُ خَيرًا؟

فَأَجَابَ: "المُوَازَنَةُ بَينَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَيسَتْ بِمَشْرُوعَةٍ فِي النَّقْدِ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «**أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، وَأَمَّا أَبُوجَهْمٍ فَضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ!**»[٣].

وَقَالَ: «**وَمَا يَنْقِمُ**[٤] **ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنْ كَانَ فَقِيرًا، فَأَغْنَاهُ اللهُ!**»[٥] وَلَمْ يَذْكُرْ حَسَنَاتِهِمْ. إِذًا: فَيُؤْخَذُ مِنْ هَذَا عَدَمُ لُزُومِ مَبْدَإِ المُوَازَنَةِ بَينَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ؛ بَلْ إِنَّهُ مِنَ الأَمْرِ المُحْدَثِ المُبْتَدَعِ، وَبِاللهِ التَّوفِيقُ"[٦].

---

(١) من شريطِ سلسلةِ "الهدى والنور" رقْم (٨٥٠)، كما في المصدر السابق.

(٢) من شريطٍ مسجلٍ، بتاريخ: ١٤١٦/١٢/١٦هـ.

(٣) أخرجه مسلمٌ (١٤٨٠).

(٤) يَنقِم -بِكسرِ القَافِ أفصح مِنْ فَتْحِهَا- أَيْ: يُنْكِرُ أَوْ يَكْرَهُ.

(٥) رَواهُ البخاريُّ (١٤٦٨)، ومسلمٌ (٩٨٣)، عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه.

(٦) "الفتاوى الجلية" (ص٥٤).

كَلِمَةٌ أَخِيرَةٌ

أَيْ أَخِي فِي اللهِ، عَلَينَا أَنْ نَعْرِفَ الحَقَّ (الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ)، وَنَتْرُكَ العِوَجَ، وَلِمَ!؟ وكَيْفَ؟؛ إِنَّ الأَهْوَاءَ مَالَتْ بِأَهْلِهَا.

فَإِذَا عَرَفْنَا الحَقَّ، سَهُلَ عَلَينَا مَعْرِفَةُ أَهْلِهِ؛ فَالرِّجَالُ يُعْرَفُونَ بِالحَقِّ بِمِيزَانِ الحَقِّ، وَلَا يُعْرَفُ الحَقُّ بِالرِّجَالِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِطَلَبِ العِلْمِ الشَّرعِيِّ عَلَى أَيْدِي أَهْلِهِ، وَقِرَاءَةِ كُتُبِ السَّلَفِ، وَحِفْظِهَا، وَفَهْمِهَا، وَإِلَّا فَكَيْفَ لَنَا مَعْرِفَةُ الحَقِّ؟!، وَخَاصَّةً فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي أَصْبَحَ المُسْلِمُ يُقَلِّبُ وَجْهَهُ فِي السَّمَاءِ؛ بَاحِثًا عَنْ نَجْمٍ يُضِيءُ لَهُ الطَّرِيقَ، وَيُعَيِّنُ لَهُ الهَدَفَ، وَيُحَدِّدُ لَهُ الاتِّجَاهَ؛ لأَنَّ الجَوَّ قَدْ تَلَبَّدَ بِغُيُومِ الأَوْهَامِ الَّتِي أَمْطَرَتْ وَابِلَهَا[1] عَلَى الأَرْضِ المُجْدِبَةِ، فَأَنْبَتَتْ لَفِيفًا[2] مِنَ الأَقْوَامِ المُتَصَارِعَةِ وَالأَحْزَابِ المُتَنَاحِرَةِ، والدَّعَوَاتِ المُتَفَرِّقَةِ، ذَاتِ المَنَاهِجِ المُخْتَلِفَةِ،الَّتِي تَدَّعِي لِنَفْسِهَا السَّيرَ عَلَى المَنْهَجِ الصَّحِيحِ.

وَكُلٌّ يَدَّعِي وَصْلًا بِلَيلَى ... وَلَيلَى لَا تُقِرُّ لَهُمْ بِذَاكَ[3]

---

(١) الوَابِلُ: المَطَرُ الشَّدِيدُ الضَّخْمُ القَطْرِ.

(٢) لَفِيفًا أَيْ: خَلِيطًا مِنْ كُلِّ حِزْبٍ.

(٣) انظر: "الجماعات الإسلامية" لسليم الهلالي (ص١٠).

وَأَخِيرًا: أَخِي فِي اللهِ، هَذَا غَيضٌ مِنْ فَيضٍ[1]، وَنُقْطَةٌ مِنْ بَحْرٍ، وَنَمَاذِجُ قَدْ تُغْنِي عَنْ أَيِّ تَعْلِيقٍ، وَلَعَلَّ غَيْرَكَ إِنِ اطَّلَعَ عَلَيهَا، فَإِنْ كَانَ غَيرَ مُنْصِفٍ فَحَسْبُهُ قَوْلُهُ: فِيهَا وَلَكِنْ مَاذَا[2]؟ فَهَذَا حَسْبُهُ، وَلَا

---

(١) غيضٌ مِنْ فَيضٍ، أَيْ: قَليلٌ مِنْ كَثِيرٍ.

(٢) لَعَلَّ قَائِلًا يَقُولُ: وَكَيفَ تَبْنِي دَوْلَةَ الإِسْلَامِ؟!

فَالجَوَابُ عَلَيهِ بِمَا سَطَّرَهُ الإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ: «لَا يَصْلُحُ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلُحَ بِهِ أَوَّلُهَا). وَكَمَا قَالَ إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي عَصْرِنَا مُحَمَّد نَاصِرُ الدِّينِ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللهُ وَجَمِيعُ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ: (إِنَّ الإِسْلَامَ لَنْ تَقُومَ لَهُ قَائِمَةٌ إِلَّا بِطَرِيقَتَينِ، هُمَا: التَّصْفِيَةُ، وَالتَّرْبِيَةُ». اهـ.

تَصْفِيَةُ النَّاسِ مِنَ الشِّرْكِ وَالخُرَافَاتِ، وَتَرْبِيَتُهُمْ عَلَى التَّوحِيدِ، تَصْفِيَتُهُمْ مِنَ البِدَعِ وَالمُحْدَثَاتِ، وَتَرْبِيَتُهُمْ عَلَى السُّنَّةِ، تَصْفِيَتُهُمْ مِنَ المَعَاصِي، وَتَرْبِيَتُهُمْ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَبِهَذَا تَجْتَمِعُ قُلُوبُهُمْ، وَيُقِيمُونَ دَوْلَتَهُمْ، وَهَذِهِ هِيَ طَرِيقَةُ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَدْ قَالَ لَهُ المُشْرِكُونَ: «إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المُلْكَ مَلَّكْنَاكَ». فَأَبَى وَاكْتَفَى بِالتَّصْفِيَةِ وَالتَّرْبِيَةِ؛ لأَنَّهُ إِذَا حَكَمَ بِالإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُرَبِّيهِمْ عَلَيهِ، لَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ أَحَدٌ، بَلْ سَوْفَ يَتَآمَرُونَ عَلَى قَتْلِهِ. وَهَذَا النَّجَاشِيُّ ذَلِكَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَسْلَمَ وَهُوَ يَحْكُمُ دَوْلَةً، وَمَاتَ وَهُوَ يُخْفِي إِسْلَامَهُ، لِمَاذَا لَمْ يَحْكُمْ بِدِينِ اللهِ مَا دَامَتِ الدَّوْلَةُ بِيَدِهِ؟!، بَلْ لِمَاذَا لَمْ يُعْلِنْ إِسْلَامَهُ فَضْلًا مِنْ أَنْ يَحْكُمَ بِهِ؟!، الجَوَابُ وَاضِحٌ، وَهُوَ: أَنَّ شَعْبَهُ لَمْ يَتَرَبَّ عَلَى هَذَا الدِّينِ، وَالتَّرْبِيَةُ تَحْتَاجُ إِلَى وَقْتٍ، وَفِي المَثَلِ: «صَنْعَاءُ لَمْ تُبنَ فِي يَوْمٍ»، وَلَيسَ النَّجَاشِيُّ وَحْدَهُ، فَقَدْ ذَكَرَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ فِي «صحيحه»: أَنَّ هِرَقْلَ وَصَلَهُ كِتَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَعَلِمَ هِرَقْلُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَجَمَعَ عُظَمَاءَ الرُّومِ، وَأَمَرَ بِغَلْقِ الأَبْوَابِ، وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الفَلَاحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ، فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَنَفَرُوا إِلَى الأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ! فَلَمَّا رَأَى تَفَرُّقَهُمْ، وَأَيِسَ مِنْهُمْ، قَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا؛ أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ؛ فَقَدْ رَأَيْتُ! فَسَجَدُوا =

= لَهُ، وَرَضُوا عَنْهُ!.

فَتَأَمَّلْ -أَخِي- لِمَاذَا أَغْلَقَ الأَبْوَابَ؟!!، وَلِمَاذَا عِنْدَمَا ذَهَبُوا إِلَى الأَبْوَابِ؛ لِكَيْ يَفْتَحُوهَا، غَيَّرَ كَلَامَهُ بِالرَّغْمِ أَنَّ الجَيْشَ بِيَدِهِ؟!

فَالجَوَابُ: حَتَّى لَا يَخْرُجَ الخَبَرُ، فَيَنْتَشِرَ، وَيَنْقَلِبَ عَلَيهِ شَعْبُهُ.

وَنَرْجِعُ إِلَى سِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَجِدُهُ قَدْ رَبَّى نَفَرًا غَيْرَ قَلِيلٍ مِنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، وَبَعَثَ مَعَهُمْ مُصْعَبَ بنَ عُمَيرٍ؛ لِكَي يُعَلِّمَهُمْ دِينَهُمْ، وَيَدْعُو غَيرَهُمْ إِلَى اللهِ، وَبَعْدَ وَقْتٍ غَيرِ قَصِيرٍ مِنَ التَّرْبِيَةِ وَالتَّصْفِيَةِ أَتَاهُ الوَحْيُ، وَأُذِنَ لَهُ بِالهِجْرَةِ إِلَى المُجْتَمَعِ الجَدِيدِ الَّذِي قَدْ تَرَبَّى عَلَى دِينِ اللهِ، فَرَضُوا بِهِ رَسُولًا وَحَاكِمًا، فَأَمَرَهُمْ بِالتَّآخِي، وَأَمَرَهُمْ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ، وَأَمَرَهُمْ بِالجِهَادِ، وَانْتَشَرَ دِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ، وَهَذَا كُلُّهُ بَعْدَ التَّصْفِيَةِ وَالتَّرْبِيَةِ، فَهَذَا -أَخِي فِي اللهِ- هُوَ مَنْهَجُ الأَنْبِيَاءِ الأَصِيلُ.

مَـنْ لِي بِمِثْـلِ سـيرك المُدَلَّلِ تَمْشِي رويدًا وَتجيء فِي الأَوَّلِ

أَخِي فِي اللهِ، كَيْفَ أَصبَحَ حَالُنَا يَوْمَ أَنْ تَرَكْنَا هَذَا النَّهْجَ الأَصِيلَ وَرَاءَنَا ظِهْرِيًّا، فَلْنَسْتَفِدْ مِنْ تَجْرِبَةِ غَيْرِنَا؛ فَالسَّعِيدُ مَنِ اتَّعَظَ بِغَيرِهِ!! فَهَا هِيَ الجَزَائِرُ: صَعِدَ الإِسْلَامِيُّونَ إِلَى السُّلْطَةِ عَنْ طَرِيقِ الانْتِخَابَاتِ، وَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ، وَحَصَلَتِ الاعْتِقَالَاتُ، وَسُفِكَتِ الدِّمَاءُ، وَانْتُهِكَتِ الأَعْرَاضُ.

وَأَيضًا فِي تُرْكِيَا حَصَلَ نَفْسُ الشَّيءِ، وَمَا زَالَ يَحْصُلُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ! فَهَلْ تِلْكَ الدُّوَلُ كَانَتْ مَوْجُودَةً قَبْلَ الانتِخَابَاتِ الَّتِي تَنْعَقِدُ عَلَيهَا الدُّوَلُ الكَافِرَةُ؟!، وَهَلِ الكَفَرَةُ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ؛ لِكَي تَقُومَ دَوْلَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ؟!

الجَوَابُ -أَخِي فِي اللهِ- يَأْتِيكَ صَرِيحًا مِنَ اللهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٣٦] جَوَابًا كَافِيًا شَافِيًا، فَقَدْ تَقُولُ -أَخِي-: مَتَى تَقُومُ الدَّوْلَةُ الإِسْلَامِيَّةُ؟! أَقُولُ: ذَلِكَ فِي عِلْمِ اللهِ، وَاللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَنْ يَسْأَلَكَ: لِمَاذَا لَمْ تَقُمِ الدَّوْلَةُ، وَلَكِنْ سَوْفَ يَسْأَلُكَ عَنِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي سَلَكْتَهَا فِي هَذِهِ الحَيَاةِ: هَلْ هِيَ مُوَافِقَةٌ لِشَرْعِ اللهِ؟! فَإِنْ كَانَتْ كَمَا شَرَعَ اللهُ، فَقَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيتَ الَّذِي عَلَيكَ، وَإِذَا قُلْتَ: كَمْ سَوْفَ نَظَلُّ نُرَبِّي النَّاسَ؟ فَالجَوَابُ: إِلَى أَنْ يَشَاءَ اللهُ=

تَثْرِيبَ عَلَيهِ[1]، وَإِنْ كَانَ مُنْصِفًا حَقًّا، فَلْيُحَرِّرْ لِي رِسَالَةً خَطِّيَّةً رَدًّا عِلْمِيًّا، مُوَثَّقًا بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ، وَأَنَا أُعَاهِدُ اللهَ

= رَبِّي. وَاللهِ لَنْ يَسْأَلَكَ: كَمْ ربَّيْتَ؟ وَلَكِنْ سَيَسْأَلُكَ عَنِ الطَّرِيقَةِ: هَلْ هِيَ مُوَافِقَةٌ لِمَا شَرَعَ، أَمْ لَا؟ وَإِذَا قُلْتَ: إِنَّ أَعْدَاءَ الإِسْلَامِ سَيَمْنَعُونَنَا مِنَ التَّصْفِيَةِ وَالتَّرْبِيَةِ؟ فَالجَوَابُ: وَمَنْ هَذَا الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُرَبِّيَ النَّاسَ عَلَى دِينِ اللهِ، دُونَ أَنْ يُمْنَعَ وَيُحَارَبَ؟! وَالأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ نَشَرُوا دِينَ اللهِ تَحْتَ سُلْطَةٍ كَافِرَةٍ، وَلَكِنْ كَانَ النَّصْرُ وَالتَّمْكِينُ لِمَنْ جَمَعَ النَّاسَ عَلَى دِينِ اللهِ، عَلَى هُدًى مِنَ اللهِ. إِذًا: فَلَا عِبْرَةَ بِقَوْلِ القَائِلِ:

مَتَى يَبْلُغُ البُنْيَانُ يومًا تَمَامَهُ ... إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدِمُ

أَقُولُ: مَنْ كَانَ حُجَّتُهُ الشِّعْرُ فَيُرَدُّ عَلَيهِ بِالشِّعرِ، قَالَ الشَّاعِرُ مُحَمَّدُ الجبالِيُّ -حَفِظَهُ اللهُ-:

بَلَى يَبْلُغُ البُنْيَانُ حَتمًا تَمَامَهُ ... إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ بِصَبرٍ وَتُحْكِمُ
فَمَا دَامَ أُسُّ البَيْتِ صُلْبًا مُوَطَّدًا ... تَعَالَى البِنَا رَغْمَ المَعَاوِلِ تَهْدِمُ
وَإِنْ كَانَ أُسُّ البَيْتِ هَشًّا مُدَعَّمًا ... بِعَاطِفَةِ الأَحْدَاثِ خَرَّ يُدَمْدَمُ[1]
وَإِنْ كَانَ أُسُّ البَيْتِ قَولًا مُزَيَّنًا ... تَهَاوَى البِنَا رَغْمَ الهُتَافِ يُحَمْحِمُ[2]
وَلَوْ زِنْتَ أَسْبَابَ البَلَايَا فَلَنْ تَجِدْ ... كَمِثْلِ الحَمَاسِ الفَجِّ[3] دَاءً يُدَاهِمُ
وَمَنْ كَانَتِ التَّقْوَى أَسَاسَ بِنَائِهِ ... فَمَا ضَرَّهُ كَيدٌ وَرَجْمٌ وَدَمْدَمُ
كَذَا أَنْبِيَاءُ اللهِ كَانَتْ حَيَاتُهُمْ ... جِهَادًا وَصَبرًا لَا يَكِلُّ وَيَسْأَمُ
فَقَامَ البِنَا رَغْمَ المَكَايِدِ شَامِخًا ... وَنُورُ السَّمَا تَبْغِي عُلَاهُ وَأَنْجُمُ

(١) الأَحْدَاثُ: جَمْعُ حَدَثٍ -بِفَتحَتَينِ-، وَهُوَ: الفَتَى صَغِيرُ السِّنِّ. يُدَمدمُ: يُهْدَمُ.

(٢) الحَمْحَمَةُ: عَرُّ الفَرَسِ حِينَ يُقَصِّرُ فِي الصَّهِيلِ وَيَسْتَعِينُ بِنَفَسِهِ، وَالمَقْصُودُ: تَغْطِيَةُ قِلَّةِ أَعْمَالِنَا بِكَثْرَةِ الكَلَامِ وَصُرَاخِنَا.

(٣) الفَجُّ -بِالفَتْحِ-: الكَثِيرُ الوَاسِعُ.

(١) التَّثْرِيبُ: اللَّومُ وَالتَّعيِيرُ بِالذَّنبِ.

إنْ وَجَدْتُ حَقًّا أَبْلَجَ[١] فَلَنْ أَتَزَحْزَحَ عَنْهُ قِيْدَ شَعْرَةٍ[٢]؛ فَالحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ، مَهْمَا كَانَ قَائِلُهُ، وَإِنْ وَجَدْتُ بَاطِلًا لَجْلَجًا[٣] فَحَسْبِي قَولُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[الأعراف:١٦٤].

وَأَخِيرًا -وَلَيسَ آخِرًا-: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود:٨٨].

وَأَسْتَوْدِعُكَ -أَخِي- فِي اللهِ، وَدُمُوعِي تَكَادُ تَسْبِقُ قَلَمِي، جَرَى القَلَمُ بِمَا تَقَدَّمَ.

وَالسَّلَامُ عَلَيكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ

بَعْدَ صَلَاةِ الفَجْرِ ٢٨ مِنْ ذِي القِعْدَةِ سَنَة ١٤٢٠هـ

اليَمَنْ، القَاعِدَة[٤] (ص. ب ٧٣٠٥٩)

جوال.
٠٠٩٦٧٧٧١٣٩٩٤١٠

---

(١) حَقًّا أَبلَجَ، أَيْ: وَاضِحًا.

(٢) القِيدُ -بالكسرِ-: القَدْرُ.

(٣) باطِلًا لَجْلَجًا، أَيْ: يَتَرَدَّدُ مِنْ غَيرِ أَنْ يَنْفُذَ.

(٤) مدينة تقع بين مدينتي تعز وإب باليمن.

الفهرس